بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين ، وبعد:

فإن الأمة الإسلامية أمة واحدة ، رضي بذلك من رضي ، وأبى من أبى ، لقوله سبحانه وتعالى :﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٩٢، وقد عاش المسلمون قرونا طويلة وهم يتفيؤون ظلال هذه النعمة الوارفة ، وأعني بها ظلال الوحدة الإسلامية ، حينما كانت الأمة الإسلامية موحدة في الجانب السياسي ، وبعد أنْ عصفت رياح التفرق والتمزق في كيانها ، وأصبحت تعيش حالة من الشتات على المستوى السياسي ، ظلّ المسلمون يشعرون بلحمة الوحدة فيما بينهم ، لم تفرقهم دول، ولم تعصف بوحدتهم سياسات هوجاء، وكان لهذه الوحدة أسس ودعامات تأبى التبدل على مر العصور ، منطلقة من كتاب الله وسنة رسولهﷺ ، ولا شك أن الآيات القرآنية التي تؤسس لوحدة المسلمين كثيرة وواضحة ، وربما يعد الكلام فيها كلاما في فضول القول أو تحصيلا لحاصل في القلوب والعقول .

وقد اختلفت مقومات الوحدة بين المنظور القومي والمنظور الإسلامي ، وكان لهذا الاختلاف آثاره الكبيرة على واقع الناس ومعاشهم ، فالمنظور القومي يعتمد في ركائزه على اللغة والتاريخ بصورة كبيرة ، ثم بعد ذلك ينظر إلى المقومات الأخرى المتمثلة بالثقافة المشتركة ، والتاريخ المشترك ووحدة الصير ، وهو ما يعبرون عنه بوحدة الآمال والآلام .

أما المنظور الإسلامي للوحدة فإنه ينطلق بالدرجة الأساس من ركيزة العقيدة الواحدة ، .وهي الركيزة التي تتبني عليها غيرها من الركائز ، فالعقيدة الواحدة كفيلة بصياغة الثقافة المشتركة ، والتاريخ المشترك ، والشعور بوحدة المصير.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون على تمهيد وثلاثة مباحث ومقدمة وخاتمة ، عرضت في المقدمة للأسباب التي دعتني للكتابة في الموضوع ولبيان منهجي فيه.

تحدثت في التمهيد عن تعريف المجتمع ، وعن الوحدة الاجتماعية.

وفي المبحث الأول تعرضت لبيان أسس الوحدة في المنظور القومي.

وفي المبحث الثاني تطرقت لعرض النصوص الداعية إلى وحدة المسلمين.

وفي المبحث الثالث عرضت لبيان مقومات الوحدة في المنظور الإسلامي ، ويشتمل على المطالب الأتية :

المطلب الأول : وحدة العقيدة .

المطلب الثاني : وحدة العبادة .

المطلب الثالث : وحدة السلوك .

وفي الخاتمة عرضت لأهم النتائج التي تمخض عنها البحث.

ومن الله التوفيق والسد

تمهيد

في معنى المجتمع والوحدة الاجتماعية

اولاً : التعريف اللغوي للمجتمع :

قال الخليل بن أحمد رحمه الله ؛ (جمع: الجمعُ مصدر جمعت الشيء. والجَمْعُ أيضا: اسم لجماعة الناس، والجموع: اسم لجماعة الناس. والمجمع حيث يُجْمَعُ الناس، وهو أيضا اسم للناس والجَمَاعَةُ: عدد كل شيء وكثرته.

والجِماعُ: ما جمعَ عَدداً، فهو جِماعُهُ، كما تقول لجماع الخباء: أخبية قال الحسن: اتقوا هذه الأهواء التي جِماعَها الضلالة ومعادها إلى النار.)[١]

وقال ابن منظور رحمه الله : ((جمع) جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع واجْدَمَعَ وهي مضارعة وكذلك تجمَّع واسْتجمع والمجموع الذي جُمع من ههنا وههنا وإِن لم يجعل كالشيء الواحد واسْتجمع السيلُ اجتمع من كل موضع وجمَعْتُ الشيء إِذا جئت به من ههنا وههنا وتجمَّع القوم اجتمعوا أَيضاً من ههنا وههنا ومُتجمَّع البَيْداءِ مُعْظَمُها ومُحْتَفَلُها)[٢]

ثانياً : التعريف الاصطلاحي للمجتمع:

جاء في الموسوعة العربية الميسرة في تعريف المجتمع بأنه: (جماعات من الناس تعيش بشكل تعاوني ، يزيد أو يقل ، يسعى إلى تحقيق مصالح رئيسية معينة)[٣]

---

(١) العين مادة (جمع)٥٥/١ .
(٢) لسان العرب مادة جمع ٥٨/٨ .
(٣)الموسوعة العربية الميسرة /١٢٢٧ .

وجاء في الموسوعة الحرة : (المجتمع مجموعة الناس التي تشكل النظام نصف المغلق والتي تشكل شبكة العلاقات بين الناس، المعنى العادي للمجتمع يشير إلى مجموعة من الناس تعيش سوية في شكل منظّم وضمن جماعة منظمة. والمجتمعات أساس ترتكز عليه دراسة علوم الاجتماعيات. وهو مجموعة من الأفراد تعيش في موقع معين تتربط فيما بينها بعلاقات ثقافية واجتماعية، يسعى كل واحد منهم لتحقيق المصالح والاحتياجات.)[١]

أما العلم الذي يعنى بدراسة المجتمعات فهو علم الاجتماع وقد جاء في الموسوعة العربية العالمية في تعريفه :بأنه ذلك العلم الذي يعنى (بدراسة الأفراد والجماعات والمؤسسات التي تشكل المجتمع البشري. ويشمل مجال الدراسة في علم الاجتماع ميدانًا واسعًا يضم كل جانب من جوانب الظروف الاجتماعية. فعلماء الاجتماع يقومون بملاحظة وتسجيل طريقة اتصال الأفراد بعضهم ببعض وبالبيئة التي يعيشون فيها؛ وهم يدرسون أيضًا تكون الجماعات، والأسباب الكامنة وراء الأشكال المختلفة للسلوك الاجتماعي)[٢]

ثالثاً : التعريف اللغوي للوحدة :

قال الجوهري رحمه الله في بين معنى الوحدة ؛ (الوَحْدَةُ: الانفرادُ. تقول: رأيته وحدَه. وهو منصوبٌ عند أهل الكوفة على الظرف، وعند أهل البصرة على المصدر في كل حال. ولا يضاف إلا في قولهم: فلانٌ نسيجُ وحدِهِ، وهو مدحٌ. وجُحَيْشُ وحدِهِ .... وهو ذمٌّ. والواحِدُ:

---

(١) الموسوعة الحرة(وكيبيديا)(مادة (المجتمع)
(٢) الموسوعة العربية العالمية ١٧٣/١٣ .

أوَّلُ العددِ، والجمع وُحْدانٌ وأُحْدانٌ. قال الفراء: يقال أنتم حيٌّ واحدٌ وحي واحِدونَ، كما يقال: شِرْذِمَةٌ قليلون. وأنشد للكميت:

فَضَمَّ قَواصيَ الأحياءِ منهم ..... فقد رَجَعوا كَحَيٍّ واحِدِينا)[1]

(١) الصحاح في اللغة ، مادة (وحد)٢/٢٦٩ .

المبحث الأول

أسس الوحدة في المنظور القومي

لكل مجتمع من المجتمعات على هذه البسيطة أسس ومقومات يقوم عليها، وبقدر فاعلية هذه الأسس وتأثيراتها على الأفراد الذي يعيشون في كنف ذلك المجتمع ، بقدر ما ينعكس ذلك على وحدة ذلك المجتمع ، فكلما كانت تلك الأسس فاعلة كلما صهرت في بوتقتها كل أشكال ومكونات ذلك المجتمع ، على اختلاف ألوانه وأشكاله المكونة له .

وسوف أحاول في هذا المبحث أنْ أسجل كل مقوم من مقومات المجتمعات ، وكل أسٍ من أسس وحدتها ، من وجهة نظر المنظور القومي ، بقطع النظر عن فاعليته في توحيد الناس وصهرهم في مجتمع واحد ، ثم بعد ذلك نحاول أنْ نرى بوضوح مدى فاعلية كل مقوم من تلك المقومات في بناء المجتمع الواحد ، ومن الله التوفيق :

قال ابن باز رحمه الله : (وقد اختلف الدعاة إليها في عناصرها، فمن قائل: أنها الوطن والنسب واللغة العربية ومن قائل: أنها اللغة فقط ومن قائل: أنها اللغة مع المشاركة في الآلام والآمال ومن قائل غير ذلك وأما الدين فليس من عناصرها عند أساطينهم والصرحاء منهم، وقد صرح كثير بأن الدين لا دخل له في القومية، وصرح

بعضهم أنها تحترم الأديان كلها من الإسلام وغيره وهدفها كما يعلم من كلامهم هو التكتل والتجمع والتكاتف ضد الأعداء ولتحصيل المصالح المشتركة)[١].

ويمكن اجمال أسس الوحدة في المجتمع الواحد بحسب الرؤية القومية للمجتمع الواحد في ما يأتي من خلال كلام السيد أشرف عبده الطيار حينما قال : (يرتبط مفهوم القومية، بمفهوم الأمة الواحدة التي لها هوية سياسية، تجمع بين افرادها روابط خاصة، مثل اللغة والعقيدة والمصالح المشتركة والتاريخ والمصير المشترك الواحد)[٢].

ويرى كثير من القوميين أن العقيدة ليست قاسما مشتركا ولا مشترطا في تكوين الوحدة الاجتماعية فقالوا : (ان مفهوم القومية العربية يرتبط بمفهوم الامة الواحدة التي لها هوية سياسية تجمع بين افرادها روابط خاصة وفق وحدة تكوينية تضم اللغة والثقافة والمصالح المشتركة والتاريخ والمصير المشترك الواحد)

١. فاللغة المشتركة.
٢. والتاريخ المشترك
٣. والثقافة المشتركة
٤. والمصالح المشتركة
٥. والمصير المشترك ، هي أسس تكوين المجتمع الواحد.

---

(١) نقد القومية العربية / ابن باز /٤.

(٢)القومية العربية والمصير المشترك / أشرف عبده الطيار/ صحيفة ٢٦ سبتمبر في ١٧ آذار ٢٠١٢ .

ولقد : (ورسخت فكرة القومية العربية حتى قال شاعرهم :

سلامٌ على كفرٍ يوحد بينــنا وأهـــــلاً وسهلاً بعده بجهنـّمِ

هبوني ديناً يجعل العرب أمةً وطوفوا بجثماني على دين برهـمِ

بلادك قدمها على كـــل ملةٍ ومن أجلها أفطر ومن أجلها صُمِ)[١]

وهي على ما تقدم فإن

، وسوف نتحدث عن كل واحد من هذه الأسس المكونة للمجتمع الواحد ، ومدى فاعليتها في تحقيق الوحدة الاجتماعية.

أولاً : اللغة المشتركة .

لقد عدّ علماء الاجتماع ودعاة القومية اللغة المشتركة من أبرز العناصر والأسس التي تساهم بشكل فاعل في بناء المجتمع الواحد،

وفي هذا الصدد يقول ساطع الحصري : ("إن أُس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هي وحدة اللغة ووحدة التاريخ. لأن الوحدة في هذين الميدانين، هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة، وبكل ذلك تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة، متميزة عن الأخرى".)[٢]

---

(١) القومية / سفر الحوالي ٨.

(٢) ماهي القومية لساطع الحصري، ص٢١٠،ن دراسات الوحدةالعربية، ط٢، ١٩٨٥، بيروت .

ويتكلم السيد عبد السلام ياسين على لسان هؤلاء القوميين الذين يقدمون رابطة اللغة على كل شيء بقوله : (إن ألفاظ كل لغة تحمل المعاني الدارجة عند أهل كل لغة كما تحمل اللغة بمجموعها ، نحوها وتركيبها وبلاغتها ، وشعرها ونثرها وأمثالها ، تجربة الشعب الناطق بها حساسيته وفكره وأسلوبه في الحياة ونظرته للإنسان ، ومكانه في الكون ، ومصيره وقيمه ، لكنها تمثل في نفس الوقت رباطا أساسيا يلم المجتمع ، رباطا يقرب بين الناس وإنْ اختلف العرق واختلف الدين

فإذا كان الرابط الديني ضعيفا بانسلاخ الناس عن الدين ، واجتمع رباط العرق واللغة فقد يستطيعان حرب الدين ، ويكونان خطرا عليه ، وهذا ما يحدث في بلاد العروبة ، إذ نرى زعماءها وفي مقدمتهم النصارى العرب الذين يريدونها قومية ناطقة بلغة الضاد لا بلغة القرآن ، ينشدون أمجاد اللغة العربية ، ويتيهون هياما بها ، ويرفعونها مكانا ساميا).[1]

ويرى القوميون أن الأسباب الحقيقية وراء الوقوف خلف اللغة بشدة وعدها الركيزة الاساسية في وحدة الأمة راجع إلى عدة نقاط ، أجملتها شاهيندا محمد عبد العزيز الشايقي بقولها نقلا عن التعريب والقومية العربية في المغرب العربي–للدكتور نازلي معوض أحمد، ص٢٤–٢٥ :

(أولاً: أن اللغة هي وسيلة التفاهم والإندماج الإجتماعي وعامل مهم في التجانس القومي لآن إستعمال لغة واحدة يؤدي إلى وحدة الرأي.

---

(١) الإسلام والقومية العلمانية / عبد السلام ياسين /٩ .

ثانياً: أن اللغة ليست مجرد أسلوب تعبير بل هي أساساً وسيلة ونمط للتفكير فاللفظ اللغوي ينطوي على معنى أو فكرة أو عاطفة.ومن وحدة اللغة تتحقق وحدة التفكير ووحدة السلوك بين الأفراد ومن ثم يتحقق التماسك والتآلف الإجتماعيان.

ثالثاً: أن اللغة وعاء الثقافة لآنها تشتمل على تاريخ الأمة وعلى ثقافتها وعلى أدبها من نثر وشعر وعلى تراثها الفكري من علوم ومعارف، ولذلك فإن الكيان الثقافي للأمة مرتبط بلغتها ارتباطاً وثيقا) [١].

لكن نظرة واحدة إلى التاريخ القريب والبعيد ترينا بوضوح أن اللغة المشتركة لم تبن أمة موحدة ، ولم تستطع أن تحفظ دماء البشرية في يوم من الأيام ، فقد وقعت الحروب ، وأريقت الدماء وانتهكت المحرمات بين أبناء اللغة الواحدة ، ويكفي للتمثيل على هذه الحقيقة الواضحة أن نضرب نموذجين حدثا في التاريخ :

الأول : في التاريخ القديم : حينما اقتتل العرب بينهم ، في حروب طاحنة دامت سنوات طويلة ، ولم تستطع حينها اللغة المشتركة أن تحول دون حدوث ذلك التطاحن والاحتراب .

ومما يدل على ذلك أيضا بشكل جلي على ذلك أن العرب في ذلك الزمان بدأوا يؤرخون بتلك الحروب لكثرتها وشدة بسها وأثرها بينهم ، يقول المسعودي : (ثم أرخوا بهلاك جرهم في الحرم. ثم أرخوا بعد ذلك بعام التفرق، وهو العام الذى افترق فيه ولد نزار بن معد بن عدنان من ربيعة ومضر وإياد وانمار ....، ثم أرخوا بعد ذلك بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين أحياء العرب وقبائلها التنازع والحروب فاستبدلوا الديار

---

(١)القومية في ميزان الإسلام /٢٢ .

وتنقلوا في المساكن وأرخوا بحجة الغدر وكانت قبل الاسلام بنحو من مائة وخمسين سنة ، وأرخوا بالحرب بين ابني وائل : بكر وتغلب المعروفة بحرب البسوس وكان الذى هاجها قتل جس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن على بن بكر بن وائل كليبا، وهو وائل بن ربيعة بن الحارث لقتل كليب ناقة يقال لها سراب لجار لخالة جساس وهى البسوس ابنة المنقذ التميمية ثم السعدية من قضاعة من بنى حرم وأرخوا بحرب بنى بغيض بن ريث بن غطفان المعروفة بحرب داحس والغبراء، وذلك قبل البعث بنحو من ستين سنة وبحرب الاوس والخزرج).[١]

فلم تستطع اللغة المشتركة هنا أنْ تحول دون وقوع الغدر والافتراق والاقتتال بين أبناء القبيلة الواحدة بلا بين أبناء البيت الواحد.

والمثال الثاني في أوربا إبان العصور الوسطى حينما كانت عموم بلاد أوربا تتكلم بلغة واحدة ، فقد (ظلت اللغة اللاتينية لغة العلم والدراسة في أوروبا الوسطى والغربية حتى القرن السابع عشر حين بدأت تحل محلها اللغات المحلية، وظلت اللاتينية لغة دولية للمعاملات الدبلوماسية حتى تلك الفترة أيضا حيث حلت محلها الفرنسية كلغة دولية ثم الإنجليزية)[٢].

فقد شهدت أوربا من الحروب الداخلية في تلك الفترة ما لم تشهده من الحروب في غيرها من الفترات ، ويكفي أنْ نذكر هنا بالحروب التي خاضتها فرنسا قبل نابليون وبعده ضد الدول المجاورة له التي كانت تتكلم اللاتينية مثله.

---

(١)التنبيه والإشراف للمسعودي ١٨٨/١ .

(٢) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) مادة اللغة اللاتينية .

وهذا يدل دلالة كبيرة على أنّ اللغة لم تؤثر ولن تؤثر في تكوين البنية الاجتماعية ، بأي شكل من الأشكال ، وبالتالي فلا قيمة لكلم ساطع الحصري في بداية الأمر حينما جعل اللغة أساسا لتوحيد الأمة.

ولهذا لا يستطيع أحد أن يجعل من اللغة سببا في تكوين المجتمعات المتماسكة

وقد لخص فتحي يكن رحمه الله هذه الأسباب فقال :

(أولاً: لو كان تأثير اللغة قوياً في صهر الناس وتكوينهم وتجنيسهم لحق على الشعب الأمريكي والإنجليز أن يكونوا أصحاب قومية واحدة طالما أن اللغة الإنجليزية هي لغة الشعبين. هذا بالإضافة إلى أن الشعب الأمريكي مزيج من سلالات مختلفة نزحت من أوربا عقب إكتشاف أمريكا ومن جملتها السلالة الإنجليزية فهل يلزم أن تكون وحدة أمريكا وإنجلترا ضرورة قومية في نظر القوميين بحجية أنها تشتركان في الجنس واللغة؟

ثانياً: إن هناك دولاً كثيرة تتمتع بالسيادة والإستقلال الذاتيين وتتكلم أكثر من لغة.فسويسرا مثلاً تتكلم ثلاث لغات دون أن تتبنى واحدة منها.ولكن هذا لم يمنع من وجودها كدولة تعد من أرقى دول العالم.

ثالثاً: ثم إننا في عصر أصبح كل شعب يتكلم لغات عديدة فلم تعد اللغة رابطة أساسية بين الناس.

بالتالي أصبح من الضروري التفتيش عن رابطة إنسانية أقوى من هذه الرابطة ألا وهي العقيدة الإسلامية)[١] .

ثانيا: التاريخ المشترك:

يمثل التاريخ المشترك الركيزة الثانية في المنظور القومي من ركائز وحدة المجتمع ، فالتاريخ المشترك هو الذي يحفز أبناء امته المنتمية اليها في تخطي عقبات الحاضر وصعوباته ، ويدفعهم من الناحية الأخرى إلى التطلع نحو الغد الأفضل .

ولا شك أن هذا الكلام ليس بعيدا عن الواقع ، ولكنه لا يمثل الحقيقة كلها ، فهو كلام صحيح حينما يكون التاريخ مشرقا وحافلاً بالمفاخر والأمجاد، وخاليا من الاحتراب والتقاتل والتنازع بين أبناء الأمة الواحدة ، بعبارة أخرى فإن التاريخ قادر على تحفيز الأمة وزرع الشعور الوحدوي بين أبنائها في نصفه المشرق ،أما في وجهه الآخر الذي قلما تخلو أمة منه ، وهو وجه الخلاف والاختلاف فإن دوره حينئذ سيكون عكسيا بلا شك ، ولكي تكون الغلبة للوجه المشرق للتاريخ ، ولكي يؤدي دوره في توحيد الأمة يجب التنبه إلى صناعة التاريخ ودعم الأسباب التي تؤدي إلى ولادة تاريخ مشرق ، ومحاربة الدواعي التي تؤدي إلى ولادة تاريخ أسود يقعد بالأمة عن مراكب الخير ومدارج السؤدد .

ومن الجدير هنا أنْ نعيد كلام كبير دعاة القوميين وهو يتحدث عن اللغة المشتركة والتاريخ المشترك في صياغة وحدة الأمة : (إن أُس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هي وحدة اللغة ووحدة التاريخ. لأن الوحدة في هذين الميدانين، هي التي

---

(١) انظر: حركات ومذاهب في ميزان الإسلام–للأستاذ فتحي يكن، ص٩٦–٩٧، ط الثالثة عام ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م، مؤسسة الرسالة–بيروت.

تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة، وبكل ذلك تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة، متميزة عن الأخرى")[١].

فيحنما يتذكر العربي المعارك الطاحنة التي وقعت بين أبناء الأمة العربية قبل الإسلام ، مثل حرب البسوس التي استمرت زهاء أربعين سنة وهي محفوظة في ذاكرة التاريخ لا شك أن التاريخ هنا يفعل في نفس العر بي فعله المشين ، ويجعله يشمئز من انتمائه لتلك الأمة التي عجزت عن تحكيم العقل ، والاحتكام إليه،طيلة عقود من الزمن.

ونراه يفعل فعلا مغايرا في نفوس العرب والمسلمين وهو يسطر أروع صفحات العز والمجد التليد ، حينما أزال العرب المسلمون من أمام جميع شعوب العالم كل ألوان الظلم والاضطهاد ، وخلوا بينهم وبين ما يريدون الاعتقاد به ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى :﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٥٦

فالتاريخ سلاح ذو حدين من جهة فعله وتأثيره في الناس ، فهو ذو أثر إيجابي وعامل من عوال الوحدة حينما يكون مشرقا ، وذو أثر سلبي حينما يسجل الصفحات المشينة من تاريخ البشر ، ولهذا يجب على الأمة أن تحرص كثيرا على صياغة تاريخها بما ينسجم مع ما يراد له من دور ريادي في صهر أبناء المجتمع وتحفيزهم نحو التلاحم المصيري .

ثالثاً : الثقافة المشتركة :

---

(١) ماهي القومية لساطع الحصري، ص٢١٠

ونعني بالثقافة المشتركة أنْ يكون هناك نسيج ثقافي يجمع بين أبناء المجتمع الواحد ، ولا شك إنّ لهذه الوحدة الثقافية الأثر البالغ في المحافظة على الوحدة الاجتماعية ، غير أن السؤال المهم هنا هو ، كيف نصل بالمجتمع إلى الثقافة المشتركة ، لأنه من المعلوم أنّ الثقافة المشتركة نتيجة لواقع معين ، ثم تستحيل بعد ذلك لتكون سببا لواقع جديد ، بعبارة أخرى ؛ ماهي روافد الثقافة المشتركة في البلد الذي نعيش فيه ، فلكي نصل بالمجتمع إلى هذه الثقافة المشتركة لابد لنا من إيجاد العوامل الصحيحة المنتجة لتلك الثقافة. وبالتالي فإن النظرة المجتزأة لهذه القضية لن تؤتي ثمارها بشكل صحيح ، وكل من تصور أن اللغة المشتركة كفيلة بإيجاد ثقافة مشتركة فإنه واهم وهما كبيرا، لأنها عجزت كما رأينا عن الحيلولة دون سفك الدماء ونهب الأموال ومصادرة الحقوق.

رابعاً : **المصالح المشتركة**:

ويعني مصطلح "المصالح المشتركة" في المنظور القومي ، ذلك الشعور المشترك بين أناس معيين بأن مصالحهم في الحياة مشتركة ، وأن تحقيق تلك المصالح المشتركة يتطلب نوعا من التعاون فيما بينهم ، ومن هنا أصبح هذا الشعور مقوما من مقومات الوحدة بين علماء الاجتماع .

ولا شك إن المصالح المشتركة لا تصلح أن تكون أساسا للوحدة ، وذلك لتشابك المصالح وتقاطعها بين جميع الناس ، فما من إنسان على وجه الأرض إلا وهناك مصلحة بينك وبينه ، كما أنه ما من إنسان وإن كان من أقرب الناس إليك إلا وهناك تقاطع في بعض المصالح بينك وبينه .

وبسبب هذه الحقيقة الصارخة في تشابك المصالح وتقاطعها في آن واحد فقد تعددت المناهج البشرية وتقاطعت تقاطعا كبيرا ، وخرجت إلى الوجود وبشكل قوي الدعوة إلى العولمة في كل مرافق الحياة ، وقبلها كانت الدعوة إلى الاشتراكية لاغية كل حق من حقوق الفرد بحجة تشابك المصالح المشتركة ، وخرجت كذلك الدعوة المناقضة لها ، وأعني بها الدعة إلى الرأسمالية ، التي تلغي تماما أي شعور وحدوي تجاه المجتمع ، بحجة تقاطع المصالح .

ويتحدث ابن باز رحمه الله عن الهدف المعلن وهو تحقيق المصالح المشتركة فيقول : (فإذا كان هذا هو الهدف، ففي الإسلام من الحث على ذلك والدعوة إليه، وإيجاب التكاتف والتعاون لنصر الإسلام، وحمايته من كيد الأعداء ولتحصيل المصالح المشتركة، ما هو أكمل وأعظم مما يرتجى من وراء القومية ومعلوم عند كل ذي لب سليم أن التكاتف والتعاون الذي مصدره القلوب، والإيمان بصحة الهدف، وسلامة العاقبة في الحياة وبعد الممات كما في الإسلام الصحيح – أعظم من التعاون والتكاتف على أمر اخترعه البشر ولم ينزل به وحي السماء، ولا تؤمن عاقبته لا في الدنيا ولا في الآخرة. وأيضا فالتكاتف والتعاون الصادر عن إيمان بالله، وصدق في معاملته ومعاملة عباده، مضمون له النصر وحسن العاقبة)[١].

خامساً: المصير المشترك :

لا شك أن شعور الناس بوحدة المصير يدفعهم باتجاه التوحد ، ومجاوزة الخلافات ، لأن الإنسان بطبعه يميل إلى التعاون مع أقرب الناس إليه عند شعوره بالخطر ، وقد

---

(١) نقد القومية العربية /٤ .

كان لهذا الشعور أثره البارز والفاعل في توحيد الناس وصهرهم زوجمع قوتهم وتوجيهها باتجاه إزالة الخطر المحدق بهم .

يقول ميشيل عفلق وهو من كبار دعاة القومية : (إن الشعب العربي مؤمن بوحدة مصيره وبضرورة توحيد نضاله كشرط أساسي لتوحيد أقطاره في المستقبل القريب)[١].

وتضطرب أقوله في ذلك ، ويضطرب مفهومه عن المصلحة فتراه ينتقد الأحزاب السياسية والحكومات الحاكمة لأنها تعمل لتحقيق مصالحها ، التي كان من المفترض أنْ تشكل جزءا من مقومات الوحدة العربية في نظرهم فيقول : (جميع الاحزاب العربية تقول بالوحدة العربية، وكذلك الحكومات، ومع ذلك فان هذه الاحزاب المتماثلة الهدف لا تلتقي ولا تتعاون، اما الحكومات فانما تلتقي لكي تتخاصم. ذلك لان الاحزاب والحكومات تعتبر الوحدة العربية محصلة ونتيجة لنضال كل قطر من أجل حريته ونهضته، في حين ان العكس هو الصحيح. فحرية كل قطر عربي ونهضته هما محصلة ونتيجة لنضاله من اجل الوحدة. فالإيمان بالوحدة والنضال في سبيلها هما اللذان، بتوجيههما نضال القطر وجهوده الوجهة الصحيحة، أي بتذكير القطر باستمرار انه جزء من كل، لا كل قائم بذاته، يجعلان من حرية القطر حرية سليمة أي خطوة ووسيلة الى حرية مجموع الامة، لا انفصالا وعقبة في طريق هذه الحرية الشاملة، ويرسمان لنهضة القطر ملامحها وحدودها لتكون تهيئة وتمهيدا للنهضة العربية العامة دون تبذير او تصادم في الجهود والمصالح)[٢].

---

(١) وحدة النضال ووحدة المصير / ميشيل عفلق / خطاب القي في مهرجان بوم الجزائر ني مقهى الرشيد، دمشق. ١٩٥٥.

(٢) المصدر السابق .

فهو يقر بوجود التصادم في الجهود والمصالح في قناعات الأحزاب والحكومات وطروحاتهم ، وهذا بحد ذاته ينفي وجود المصالح المتفق عليها ، وبالتالي يؤدي إلى عدم الشعور بالمصير المشترك .

المبحث الثاني

النصوص الداعية إلى وحدة المسلمين

سوف نورد هنا أن شاء الله تعالى الآيات القرآنية التي دعت إلى الوحدة أو التي قررت ذلك ، ثم نثني بعد ذلك بما ورد في سنة النبي ﷺ مما يتصل بموضوع الوحدة ، ونحاول ان شاء الله تعالى أنْ نلم بما يرشد إليه النص ومن الله التوفيق والسداد.

أولا: **الآيات القرآنية** :

من خلا النظر في الآيات القرآنية التي يتصل معناها بالوحدة ، وجدنا أنها تنقسم على ثلاثة محاور رئيسة :

المحور الأول : إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى ، ولا شك أنّ الوحدانية هي حبل الله المتين ، وهي لبّ الشريعة الإسلامية ولبّ الشرائع السماوية الأخرى ، فما من نبي إلا وقد جاء بالتوحيد المطلق .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥

فوحدانيته سبحانه وتعالى هي الأس الذي يبنى علي كل شيء ، وهي ركيزة الإيمان الأساس فمن تمسك بها نجا ومن جعلها وراء ظهره جعل سخط الله وغضبه أما عينيه .

وبالنظر إلى كثرة الآيات القرآنية الدالة على التوحيد سنكتفي بإيراد طرف منها إنْ شاء الله تعالى .

قال سبحانه وتعالى :

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٣

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ١٦٣

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ البقرة: ٢٥٥

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ١٨

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ٦٢

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٧٣

﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ الأنعام: ١٦٣ ــ ١٦٤

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٨

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل: ٢٢

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ الإسراء: ١١١

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الحشر: ٢٢ ــ ٢٣

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ١ ــ ٤

بعد انْ نقلنا طرفاً من الآيات القرآنية التي تتحدث عن وحدة الباري من كل الجهات التي تخطر على قلب بشر ، أرى من المناسب أنْ ننتقل بعد ذلك إلى المحور التالي وهو :

المحور الثاني : محور إثبات وحدة الخلق ، وبأنها صدرت عن نفس واحدة ، وأنها قضت ردحاً من الزمن قبل أنْ تجري عليها سنة الاختلاف .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ الأنعام: ٩٨

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الأعراف: ١٨٩

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الزمر: ٦

ولما كان منشأ الناس من نفس واحدة ، فيكون من الطبيعي أنهم عاشوا في كنف أمة واحدة قبل أنْ يفترقوا ويختلفوا .

قال تعالى :

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ

بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۗ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ يونس: ١٩

من هنا كانت الدعوة إلى الرابطة الإنسانية ، والدعوة إلى حقوق الإنسان دعوة واعية ، لأنها تراعي أصل المنشأ الذي انبثق عنه عامة الناس ، فإذا انضاف إلى ذلك علمنا بأننا كنا جميعا في كنف أمة واحدة ، زاد شعورنا بانتمائنا إلى إنسانيتنا ، وسط هذا التناحر والاختلاف والتقاتل على المصالح المتغيرة ، والمنافع الزائلة.

المحور الثالث : **إثبات وحدة المسلمين** : بعد أن قرر الله سبحانه وتعالى وحدة الخالق ، وجعلها منطلَق الحياة ، وقرر وحدة الخلق وجعلها منطلق التعامل بين الناس ، لكي لا يطفى بشر على بشر ، قرر في نهاية المطاف وحدة المسلمين ، وجعلها منطلق التعايش داخل الأمة الإسلامية .

فأصبحت هناك ثلاث دوائر ترتكز على الوحدانية ، يعيش بها المسلم حياته بأسرها :

الأولى دائرة وحدة الخالق : فلا نجاة بغيرها ، وهي أوسع الدوائر وأجلاها وضوحا وبيانا ، عليها يدور الخلاص ، وبها تعرف النجاة ، كما في حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وفي قلبه

وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وفي قلبه وزن ذرة من خير "[١].

قال تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٢

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ المؤمنون: ٥٢

ومما يخل في هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠

حيث عبّر عن مدى تلاحم المسلمين فيما بينهم بنهم إخوة ، وفي اختيار لفظة (إخوة) على غيرها من الفاظ القرابة لفتة إلى مساواة المؤمنين في قربهم من الله تعالى ، وأن جميع المؤمنين على خط شروع واحد كما يقولون لأن صلة الأخ بأخية ليس فيها تسلط ولا استعلاء ، كما أنها خالية من التزلف . وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ فيما يرويه عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الناس سواسية كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية ، والمرء كثير بأخيه ، ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له "[٢].

ثانياً : الأحاديث النبوية:

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه – حديث:٤٤.

(٢) جزء ما رواه الزبير عن غير جابر لأبي الشيخ الأصبهاني – أبو الزبير عن سهل بن سعد الساعدي حديث:٢١

من خلال النظر في الأحاديث النبوية التي تتعلق بموضوع الوحدة ، وجدنا أنها تنقسم إلى أكثر من عشرة أقسم ، تؤدي بمجموعها إلى تولد الشعور الفاعل بالانتماء إلى الأمة ، وسوف نعرض لطرف من الأحاديث التي تقع في القسم المدروس ، مراعين في ذلك مسألتين: الأولى وصول الفكرة من غير إخلال ، والثانية عدم الإطالة في ذلك لما له من أثر سلبي في تولد السآمة والملل ، ومن الله التوفيق :

أولاً: المؤاخاة بين المسلمين :

لقد حرص النبي ﷺ على ترسيخ مبدأ المؤاخاة بين المسلمين في ميدانين مختلفين :

الأول : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ونعني بها أن كل مسلم من الأنصار يتخذ أخا له من المهاجرين ، يقاسمه جميع ما يملك ، وقد تمّ هذا اتلأمر في بدء الهجرة المباركة .

وقد تحدث المباركفوري عن هذه المؤاخاة فقال : (ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم بجانب قيامه ببناء المسجد : مركز التجمع والتآلف، قام بعمل آخر من أروع ما يأثره التاريخ، وهو عمل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، قال ابن القيم : ثم أخي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلًا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، أخي بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل : { وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ } [الأنفال : ٧٥] رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة ....

ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية، وتسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يكون أساس الولاء والبراء إلا الإسلام .

وقد امتزجت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأخوة، وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال .....

وحقًا فقد كانت هذه المؤاخاة حكمةً فذةً، وسياسةً حكيمةً، وحلًا رشيدًا لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون)[١].

وروى البخاري بسنده فقال :(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا قَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ أَيْنَ سُوقُكُمْ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْيَمْ قَالَ تَزَوَّجْتُ قَالَ كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا قَالَ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ شَكَّ إِبْرَاهِيمُ)[٢].

الثاني : المؤاخاة بين عموم المسلمين: فقد وردت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في أخوة المسلمين ، نور طرفا منها إنْ شاء الله تعالى :

- روى البخاري بسنده عن (عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أخبره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا

---

(١) الرحيق المختوم / المبارك فوري /١٤٤ .

(٢) صحيح البخاري / باب إخاء النبيﷺ بين المهاجرين والأنصار / رقم الحديث (٣٧٨٠).

يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[١].

- وروى الإمام مسلم بسنده : (عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره التقوى هاهنا " ويشير إلى صدره ثلاث مرات " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه " حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح ، حدثنا ابن وهب ، عن أسامة وهو ابن زيد ، أنه سمع أبا سعيد ، مولى عبد الله بن عامر بن كريز يقول : سمعت أبا هريرة ، يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذكر نحو حديث داود ، وزاد ، ونقص ومما زاد فيه " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم " وأشار بأصابعه إلى صدره).[٢]

---

(١) صحيح البخاري – كتاب المظالم والغصب باب : لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه – حديث:٢٣٣٠، صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم – حديث:٤٧٨٣، صحيح ابن حبان – كتاب البر والإحسان /فصل من البر والإحسان – ذكر قضاء الله جل وعلا حوائج من كان يقضي حوائج المسلمين /حديث:٥٣٤، سنن الترمذي الجامع الصحيح – أبواب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم /أبواب الحدود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في الستر على المسلم / حديث:١٣٨٤وقال حديث حسن صحيح غريب .

(٢) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم ظلم المسلم – حديث:٤٧٥٦ ، السنن الكبرى للبيهقي – كتاب الغصب

- وأخرج الحاكم بسنده(عن عقبة بن عامر الجهني ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " المسلم أخو المسلم ، ولا يحل لمسلم إن باع من أخيه بيعا فيه عيب أن لا يبينه له " " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)[١]"

ثانياً : **بذل النصيحة**:

إمعانا من الرسول ﷺ ،في ترسيخ الشعور بوحدة المسلمين فقد دعا ﷺ الى التناصح بين المسلمين على كافة المستويات ،

- فقد أخرج البخاري بسنده إلى (زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ قَالَ سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمْ الْآنَ ثُمَّ قَالَ اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَشَرَطَ عَلَيَّ **وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ** فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ).[٢]

باب تحريم الغصب وأخذ أموال الناس بغير حق – حديث:١٠٧٤٤ . مسند أحمد بن حنبل – ومن مسند بني هاشم / مسند أبي هريرة رضي الله عنه – حديث:٧٥٥٦.

([١]) المستدرك على الصحيحين للحاكم – كتاب البيوع /وأما حديث حبيب بن أبي ثابت – حديث:٢٠٩٣، مستخرج أبي عوانة – مبتدأ كتاب النكاح وما يشاكله /باب حظر المسلم أن يخطب على خطبة المسلم حتى يترك – حديث:٣٣٥٣ ،سنن الدارمي – ومن كتاب البيوع /باب : لا يبع على بيع أخيه – حديث:٢٥٠٦ .

([٢])صحيح البخاري / باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة / رقم الحديث ٥٨ ، سنن الدارمي / باب في النصيحة / رقم الحديث ٢٤٨ .

- وأخرج الإمام مسلم رحمه الله بسنده إلى : (عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه و سلم قال الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعاماهم).[١]
- وروى أبو داود بسنده إلى (أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ « الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ ».)[٢]
- وأخرج النسائي بسنده إلى (عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وللأمة المسلمين وعامتهم)[٣].

فالنصيحة والتناصح لا ينفك مسلم عنه ، لأنها مستغرقة لجميع الظروف والأحوال التي يمر بها المسلم ، لأن المسلم مأمور ببذل النصيحة لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعالمتهم ، فهل يتصور عقلا أنْتمر على المسلم ساعة من نهار أو ليل يكون فيها خارج هذه المساءلة الربانية .

---

(١) صحيح مسلم / باب الدين النصيحة / رقم الحديث ٥٤ .

(٢) سنن أبي داود باب في النصيحة والحياطة / رقم الحديث ٤٩٢٠، الجامع في الحديث لابن وهب – الإخاء حديث:٢٣٣،السنن الكبرى للبيهقي – كتاب القسامة /كتاب قتال أهل البغي – باب ما في الشفاعة والذب عن عرض أخيه المسلم من الأجر / حديث:١٥٥١٩ .

(٣)السنن الكبرى / النسائي باب نصيحة الإمام / رقم الحديث ٧٨٢٢ ، معرفة السنن والآثار للبيهقي – سبب تأليف كتاب معرفة السنن والآثار / حديث:١٠٥،مسند الحميدي – حديث تميم الداري رضي الله عنه /حديث:٨٠٩ .

لا شك أن هذا الالتزام الدائم تجاه المسلمين بدافع التناصح ، يزرع في نفوس المؤمنين غرس الولاء المطلق لهؤلاء المسلمين الذين يحرصون على مناصحته ، مما يسهم بشكل فاعل وكبير في الشعور الوحدوي بين أبناء الأمة الإسلامية .

ثالثاً : **المساواة بين المسلمين** :

إن شعار المساواة بين أبناء المجتمع الواحد من الشعارات التي ظلمت كثيرا ، فكل الجماعات والتكتلات تدعي المساواة بين أبنائها في الحقوق والواجبات ، ولكن قلما نرى شيئا من المساواة في الواقع الملموس ، ويصح أن نطلق عليه بأنه (الحاضر الغائب بين الأمم) ،

فكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقرّ لهم بذاكا

فكم من زعيم خرج إلينا يتشدق بكلماته عن العدل والمساواة ، في الوقت الذي يعيش هو ومعيته خارج نطاق القانون ، وقديما اعترفنا لهؤلاء الحكام بعدالتهم في توزيع الظلم والحرمان على الناس ، غير أنهم في هذه الأيام يهربون من كل مسمى للعدل ، وإن كان عدلا في توزيع المظالم بين الناس.

ولقد قال الرصافي رحمه الله:

كم يدعي وطنية من لم تمرّ ببابه

لهذا كله فإننا حين نرى أن الإسلام بسط العدل بين الناس عموما ، ولا أقول بين المسلمين ، دونما أن يصم أسماع الناس بالحديث عنه ، أقول حينما نرى ذلك بوضوح ومن غير مواربة ، فإن الإسلام جدير بالاحترام والالتزام، ويكفي أن نسوق شيئا من أحاديث المصطفىﷺ الدالة على ذلك ، ومن الله التوفيق:

- فقد رُوي عن النبيﷺ أنه قال : (" إن ربكم واحد ، وأباكم واحد ، ونبيكم واحد ، لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى)[١].
- وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله (قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق خطبة الوداع ، فقال : " يا أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر ، إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت ؟ " ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : " فليبلغ الشاهد الغائب " ثم ذكر الحديث في تحريم الدماء والأموال والأعراض ، في هذا الإسناد بعض من يجهل)[٢].
- وروى الدولابي بسنده إلى (سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما الناس كأسنان المشط ، وإنما يتفاضلون بالعافية فلا تصحب من لا يرى لك مثل ما ترى له).[٣]

وحينما سرقت المخزومية وهي ذات حسب ونسب ، التمس بعض الصحابة من رسول اللهﷺ ، أن يعفو عنها لمكانتها بين قومها ،فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين لهم أنّ هلاك الأمم مع ضياع العدل والمساواة ، وأخبرهم أن العدل سار

---

(١) التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني – باب جامع / حديث:٢٣٥.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي – فصل / حديث:٤٩٠٤ .

(٣) الكنى والأسماء للدولابي – حرف الخاء من الكنى /من كنيته أبو خداش – من كنيته أبو خزيمة /حديث:٩٣١، أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني – قوله صلى الله عليه وسلم : " الناس سواء كأسنان المشط / حديث:١٤٣،

على رقاب جميع المسلمين ، لا فرق بين حاكم ومحكوم في ذلك ، وإليك ما أخرجه البخاري في ذلك .

- (عن عائشة رضي الله عنها ، أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام فاختطب ، ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ")[١].

رابعاً : الدعوة إلى التكافل والتضامن :

تميز الإسلام عن غيره بالدعوة الى التكاتف والتعاون الاجتماعي ، وسار بأبنائه في طريق التضامن إلى أبعد ما يتصوره العقل في ذلك ، وقد رسّخ الإسلام مفهوم التكافل والتعاون بشقيه: المادي والمعنوي ، ففي باب التكافل المادي أوجد الإسلام نظاما ماليا فريد، يلتزم به الأغنياء فيصل بالفقراء الى الحياة الكريمة ، بدءاً بالزكاة ومرورا بالصدقات والكفارات وغيرها.

---

(١) صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء / باب حديث الغار – حديث:٣٣٠٦ ،صحيح مسلم – كتاب الحدود /اب قطع السارق الشريف وغيره – حديث:٣٢٨٢ ،سنن ابن ماجه – كتاب الحدود / باب الشفاعة في الحدود – حديث:٢٥٤٣.

وفي التكافل المعنوي فقد جعل الإسلام كل مسلم مسؤول مسؤولية مباشرة عن غيره من المسلمين ، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، ولا يحل لمسلم أن يخفر ذمة أخيه المسلم .

قال الأستاذ محمد واعظ زادة الخراساني في هذا الصدد : (ن تتحقق فكرة الأمة الواحدة عند المسلمين، ولا ترتكز في النفوس ولا تستقر في القلوب، إلا بوجود المسؤولية المتبادلة والمشتركة في نفوسهم، فما بقيت أمة من الأمم ولا أمة الإسلام خالدة إلا بتبادل هذه المسؤولية بين أبنائها، بأن يشعر كل فرد منهم في نفسه أنه مسؤول أمام الآخرين، فيتبادل ويشتد هذا الإحساس بينهم ليل نهار، لا يغفلون عنه قليلًا، فيحسبون الغفلة عنها نقصًا في إيمانهم وعيبًا في تقاليدهم، وعصيانًا لربهم وخروجًا عن دائرة أمتهم، ثم يرون أنفسهم مع غيرهم من أعضاء الأمة سواء في النفع والضرر، وفي البأساء والضراء، وفي الفلاح والخسران، ويكون همهم بهذه المسؤولية لديهم فوق كل همومهم، وأمنية فوق كل أمنياتهم؛ فيعيشون معها دائمًا، وهذا مغزى قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)) .)[1].

وسوف نورد من الأحاديث ما يثبت ذلك بشقيه إنْ شاء الله تعالى .

أولاً : الآثار النبوية الدالة على التكافل المادي:

وردت عن النبي ﷺ العديد من الآثار في التكافل المادي ، وسوف نورد من الآثار ما يقع خارج الزكاة لأن فرضية الزكاة ثابتة بالقران الكريم.

---

(١)مجلة مجمع الفقه الإسلامي / الوحدة الإسلامية معالمها وأعلامها إعداد الأستاذ محمد واعظ زادة الخراساني ٧٧٨/١١ .

- أخرج الإمام مسلم بسنده إلى (أبي سعيد الخدري ، قال : بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة له ، قال : فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان معه فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد ، فليعد به على من لا زاد له " ، قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل).[١]
- وأخرج أبو داود بسنده إلى (عائشة رضي الله عنها ، أنه اعتل بعير لصفية بنت حيي ، وعند زينب فضل ظهر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لزينب : " أعطيها بعيرا " فقالت : أنا أعطي تلك اليهودية ؟ " فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر)[٢].
- أخرج البيهقي في السنن الكبرى عن (محمد بن علي أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : " إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فإن جاعوا وعروا جهدوا في منع الأغنياء ، فحق على الله أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه ").[٣]

---

(١) صحيح مسلم – كتاب اللقطة /باب استحباب المؤاساة بفضول المال – حديث:٣٣٤٥ ، صحيح ابن حبان – كتاب اللباس وآدابه/ ذكر البيان بأن أثر النعمة يجب أن ترى على المنعم عليه – حديث:٥٤٩٦،مسند أبي يعلى الموصلي – من مسند أبي سعيد الخدري حديث:١٠٢٧.

(٢) سنن أبي داود – كتاب السنة / باب ترك السلام على أهل الأهواء – حديث:٤٠٠٧ ، مسند إسحاق بن راهويه – ما يروى / حديث:١٢٦٢.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي – كتاب قسم الصدقات / باب لا وقت فيما يعطى الفقرا والمساكين إلى ما يخرجون به – حديث:١٢٣٣٩ ، المعجم الأوسط للطبراني – باب الدال /من اسمه دليل – حديث:٣٦٦٣ ، تفسير سنن سعيد بن منصور – تفسير سورة الأنعام /الآية) ١٤١ (– قوله عز وجل وهو الذي أنشأ جنات معروشات إلى قوله تعالى / حديث:٨٧٩.

قال ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله معلقا على هذا الحديث : (: والعلماء اليوم مجمعون على هذه الآثار كلها أن أهل كل بلد من البلدان ، أو ماء من المياه ، أحق بصدقتهم ، ما دام فيهم من ذوي الحاجة واحد فما فوق ذلك ، وإن أتى ذلك على جميع صدقتها ، حتى يرجع الساعي ولا شيء معه منها . بذلك جاءت الأحاديث مفسرة) [١].

ثانياً : الآثار النبوية الدالة على التكافل المعنوي:

ثبتت في السنة النبوية جملة من الآثار الدالة على التكافل المعنوي بين المسلمين ، ونعني بالتكافل المعنوي أن يعيش المسلم وهو مكفول الذمة بين إخوانه من أبناء أمته ، بل إن التكافل المعنوي يصل إلى أبعد من ذلك في المسؤولية المشتركة فالمسلم مسؤول بشكل أو بآخر عن نجاة نفسه ونجاة من معه من النار ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦

- أخرج أبو داود بسنده إلى (عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المسلمون تتكافأ دماؤهم . يسعى بذمتهم أدناهم ، ويجير عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم يرد مشدهم

---

(١) الأموال للقاسم بن سلام – كتاب الصدقة وأحكامها وسننها / هذا جماع أبواب مخارج الصدقة وسبلها التي توضع فيها – باب قسم الصدقة في بلدها / حديث:١٢٦٤.

على مضعفهم ، ومتسريهم على قاعدهم لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده ").[١]

- وأخرج الإمام مسلم بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه (" بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه ").[٢]

فحينما يعيش المسلم في مجتمع وهو معصوم الدم والمال والعرض ، ومعصوم من الازدراء بكل صوره ، لا شك أنّ ذلك يؤدي بشكل كبير الى الشعور بالانتماء الى تلك الأمة .

وقد حدثت حوادث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين من خلالها أنّ الإسلام لا يفرق بين الشريف وغير الشريف ، كما في قصة أبي ذر مع الصحابي المغمور والتي رواها البخاري رحمه الله بقوله :

(عن المعرور بن سويد ، قال : لقيت أبا ذر بالربذة ، وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك ، فقال : إني سببت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : " يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ،

---

(١) سنن أبي داود – كتاب الجهاد / باب في السرية ترد على أهل العسكر – حديث:٢٣٨٦،سنن ابن ماجه – كتاب الديات / باب المسلمون تتكافأ دماؤهم – حديث:٢٦٧٩،مصنف ابن أبي شيبة – كتاب الديات / إن المسلمين تتكافأ دماؤهم – حديث:٢٧٤٠٣ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم ظلم المسلم – حديث:٤٧٥٦ ، سنن أبي داود – كتاب الأدب /باب في الغيبة – حديث:٤٢٥٩ .

جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ")[١] .

وحينما اعتدى ولد عمرو بن العاص على رجل من رعايا المسلمين ، شكى ذلك إلى عمرو بن الخطاب (قائلاً: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم، قال عذت معاذا قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو رضي الله عنهما يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه: فقدم عمر فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين؟ قال أنس: فضرب، فوالله، لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما رفع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: اصنع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني)[٢].

فالدماء محفوظة ، والأعراض محفوظة ، والأموال محفوظة ، والحقوق محفوظة لا فرق بين رئيس ومرؤوس ، ولا بين شريف ووضيع ، يتفاضلون بالتقوى ، ويتمايزون بها ، والتقوى في القلب الذي ما جعل الله لأحد عليه من سلطان.

خامساً : **تحريم التقاتل والتخاصم بين المسلمين**:

لئن كانت القوانين التي يضعها البشر ويحتكم إليها قادة على منعى التقاتل بين الناس ، بشكل أو بآخر ، أو كانت قادرة على الحد منه ، فإن جميع قوانين البشر عاجزة تماما أنْ تمنع التخاصم والكراهية بين الناس ، لأن القانون البشري لا يصل

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الإيمان / باب : المعاصي من أمر الجاهلية – حديث:٣٠.
(٢)مناقب عمر بن الخطاب / ابن الجوزي /٩٨-٩٩.

في كل الظروف إلى قلوب الناس ليتحكم فيها ، وبالتالي فإن منع التخاصم ومنع الكراهية بين الناس ، وبذل المحبة ،من المساحات التي تختص بها الأديان على غيرها من الشرائع والنواميس.

وسنورد فيما يأتي شيئاً من الأحاديث الدالة على حرمة التقاتل بين المسلمين، وكذلك الأحاديث الدالة على حرمة الخصومة والتساب ، إن شاء الله تعالى .

- أخرج البخاري بسنده إلى (جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في حجة الوداع : " استنصت الناس " فقال : " لا ترجعوا بعدي كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض)[١].
- أخرج الترمذي بسنده إلى (عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " " قتال المسلم أخاه كفر ، وسبابه فسوق " " وفي الباب عن سعد ، وعبد الله بن مغفل ، : " " حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح ، وقد روي عن عبد الله بن مسعود من غير وجه ")[٢].

من المناسب أنْ نذكر أنّ الأحاديث التي تنهى عن التساب بين المسلمين قد أوردناها مع الأحاديث التي تنهى عن قتال المسلم

وسنذكر هنا الأحاديث التي تنهى عن الهجر والتصارم بين المسلمين ، ومن الله التوفيق .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب العلم / باب الإنصات للعلماء – حديث:١٢٠، مشكل الآثار للطحاوي – باب بيان مشكل ما روي في إسلام جرير متى كان في /حديث:٢٠٨٤

(٢) سنن الترمذي الجامع الصحيح – الذبائح /أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء سباب المؤمن فسوق / حديث:٢٦٢٥، السنن الصغرى – كتاب تحريم الدم / قتال المسلم – حديث:٤٠٥٦.

- أخرج البخاري عن (حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ")[١].
- وأخرج مسلم بسنده إلى أبي هريرة : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ، ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا ، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ")[٢].
- وأخرج ابن خزيمة : (عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين : يوم الاثنين ، ويوم الخميس ، فيغفر لكل مؤمن ، إلا عبد بينه وبين أخيه شحناء ، فيقول : اتركوا ، أو أرجئوا هذين حتى يفيئا ")[٣].

سادساً : **لزوم جماعة المسلمين وعدم جواز تفريقهم** :

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الأدب / باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر – حديث:٥٧٢٥ ، صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب / باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر – حديث:٤٧٤٧ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب / باب النهي عن الشحناء والتهاجر – حديث:٤٧٥٨ ، صحيح ابن حبان – كتاب الحظر والإباحة /باب ما جاء في التباغض والتحاسد والتدابر والتشاجر والتهاجر بين المسلمين – ذكر الزجر عن المشاحنة بين المسلمين إذ الغفران يكون عن المشاحن /حديث:٥٧٣٩

(٣) صحيح ابن خزيمة – كتاب الصيام /جماع أبواب صوم التطوع – باب في استحباب صوم يوم الاثنين والخميس أيضا ؛ لأن الأعمال / حديث:١٩٧٠ ، صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب / باب النهي عن الشحناء والتهاجر – حديث:٤٧٦٠

دعا النبي ﷺ إلى لزوم جماعة المسلمين ، وعدم التفريط بتلك الجماعة ، وجعل التمسك بمعية المسلمين من أكبر أسباب النجاة في الدنيا والآخرة ، ﷺ والخروج على تلك الجماعة والتفرد من أبرز الأسباب الداعية إلى الضياع والخسار ، ولا شك أن شيوع هذا المعنى بين أفراد الأمة يؤدي إلى شعورهم بالانتماء إلى أمة واحدة ، وهو عين المراد في ظل الدعوات العديدة والتيارات المتناقضة ، التي تتجاذب الناس يمنة ويسرة ، وإلى هذا المعنى يشير حديث النبي ﷺ حينما سأله تميم الداري ، عن المخرج حينما تقع الفتن بقولهﷺ (الزم جماعة المسلمين)،

- أخرج البخاري بسنده إلى أبي إدريس الخولاني : (أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : " نعم " قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : " نعم ، وفيه دخن " قلت : وما دخنه ؟ قال : " قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر " قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : " نعم ، دعاة إلى أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها " قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ؟ فقال : " هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا " قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** ، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال " فاعتزل

تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ")[١].

بل الأمر لم يقف عند الأمر بلزوم جماعة المسلمين على كل الظروف كما رأينا في الحديث السابق ، وإنما تعداه إلى الإخبار عن عدم مشروعية صلاة من يصلي وهو مفارق لجماعة المسلمين ،

- أخرج أبو يعلى بسنده إلى مكحول : (، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من فارق جماعة المسلمين فلا صلاة له حتى يرجع إليهم ، ولا لعاصي ثغر من ثغور المسلمين حتى يرجع إلى ثغره ")[٢]
- أخرج ابن أبي شيبة بسنده إلى : (عائشة ، قالت : " ما حل دم أحد من أهل هذه القبلة ، إلا من استحل ثلاثة أشياء قتل النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمفارق جماعة المسلمين ، أو الخارج من جماعة المسلمين ")[٣].
- أخرج الإمام أحمد بسنده : (عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " نضر الله عبدا سمع مقالتي هذه فحملها ، فرب حامل الفقه فيه غير فقيه ، ورب حامل الفقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل

---

(١) صحيح البخاري – كتاب المناقب / باب علامات النبوة في الإسلام – حديث:٣٤٣٠ ، صحيح مسلم – كتاب الإمارة / باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر – حديث:٣٥٢٣

(٢) سنن سعيد بن منصور – كتاب الجهاد / باب ما جاء فيمن خالف الإمام – حديث:٢٣١٥ ،

(٣) مصنف ابن أبي شيبة – كتاب الديات / ما يحل به دم المسلم – حديث:٢٧٣٤٠ ، المستدرك على الصحيحين للحاكم – كتاب الحدود /حديث:٨١١٣

عليهن صدر مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أولي الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ") [١].

- أخرج ابن حبان في صحيحه عن : (عرفجة بن شريح الأشجعي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " سيكون بعدي هنات وهنات ، فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم جميع ، فاقتلوه كائنا من كان ، فإن يد الله مع الجماعة ، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض)[٢].
- أخرج الترمذي بسنده إلى : (ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " " إن الله لا يجمع أمتي – أو قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم – على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار)[٣].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل – ومن مسند بني هاشم / مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه – حديث:١٣١٢٢ ، المعجم الأوسط للطبراني – باب العين / باب الياء – من اسمه يعقوب / حديث:٩٦٢١ ، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي – ومن الدليل أيضا على أصل المسألة قول الله تعالى : وكذلك / حديث:٤٣٧ .

(٢) صحيح ابن حبان – كتاب السير /باب طاعة الأئمة – ذكر إثبات معونة الله جل وعلا الجماعة / حديث:٤٦٤٧، مستخرج أبي عوانة – مبتدأ كتاب الأمراء / بيان وجوب نصرة الخليفة إذا بويع لغيره – حديث:٥٧٤٢ .

(٣) سنن الترمذي الجامع الصحيح – الذبائح / أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في لزوم الجماعة / حديث:٢١٤٤ / وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه وسليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان ، وقد روى عنه أبو داود الطيالسي ، وأبو عامر العقدي وغير واحد من أهل العلم ، : وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث ، وسمعت الجارود بن معاذ يقول : سمعت علي بن الحسن ، يقول : سألت عبد الله بن المبارك : من الجماعة ؟ فقال : أبو بكر وعمر ، قيل له : قد مات أبو بكر وعمر ، قال : فلان وفلان ، قيل له : قد مات فلان وفلان ، فقال عبد الله بن المبارك : أبو حمزة السكري جماعة :

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ومتشعبة ، ودلالتها على لزوم جماعة المسلمين قوية وواضحة ، ودورها في صياغة الأمة الواحدة كبير جداً ، لهذا أرى أن في ما نقلناه عن النبي ﷺ في هذا المجال كاف في الدلالة على ما قدمنا والله الموفق .

سابعاً : **وحدة الإمام** :

من الدعائم التي شرعها الإسلام في سبيل ترسيخ وحدة الأمة، قضية وحدة الإمام ، لأنه من المعلوم أن تعدد الأئمة مدعاة التي نشوب الاختلاف ، وسبب من أسباب فرقة الأمة ، وبالمقابل فإن وحدة الإمام ، واجتماع الأمة على إمام واحد ، يكون سببا في وحدة الأمة ، وكلما كانت أسباب الوحدة سائدة بين الناس كانت الأمة موحدة ، وكلما كانت أسباب فرقتها بادية ، كانت هشة البنيان ، وإيمانا من الإسلام بكل هذا وحرصا من على وحدة أبنائه ، فقد حرص الإسلام على وحدة الإمام المسببة لوحدة الأمة.

قال الماوردي : (وَإِذَا عُقِدَتْ الْإِمَامَةُ لِإِمَامَيْنِ فِي بَلَدَيْنِ لَمْ تَنْعَقِدْ إمَامَتُهُمَا ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْأُمَّةِ إمَامَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَإِنْ شَذَّ قَوْمٌ فَجَوَّزُوهُ)[١].

وسوف نورد فيما يأتي النصوص التي تدعو إلى وحدة الإمام ، باعتبارها خطوة في طريق وحدة الأمة ، إنْ شاء الله تعالى .

- أخرج الإمام مسلم بسنده إلى : (عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا بويع لخليفتين ، فاقتلوا الآخر منهما ")[١]

وأبو حمزة هو محمد بن ميمون وكان شيخا صالحا ، وإنما قال هذا في حياته عندنا ، المستدرك على الصحيحين للحاكم – كتاب العلم / ومنهم يحيى بن أبي المطاع القرشي – حديث:٣٥٥ .

(١) الأحكام السلطانية / الماوردي /١٠ .

المبحث الثالث

مقومات الوحدة في المنظور الإسلامي

بعد أنْ وقفنا أمام النصوص الداعية إلى وحدة المسلمين ، من الكتاب والسنة ، سوف نعرض في هذا المبحث إنْ شاء الله لمقومات الوحدة في المنظور الإسلامي متمثلة بوحدة العقيدة الصحيحة ووحدة العبادة ووحدة السلوك الاجتماعي، وسنحاول إنْ شاء الله أنْ نبرز بشكل واضح أثر هذه المقومات على صياغة الوحدة الاجتماعية ، ومدى قدرتها على صهر الناس وإذابتهم فيها.

أولاً : وحدة العقيدة الصحيحة:

لاشك أنّ أبرز مقوم من مقومات الوحدة الإسلامية ، هو العقيدة الواحدة ، لما للعقيدة من أثر في صياغة سلوك الناس ، وقلما تجد سلوكاً اجتماعياً صادراً عن أحد إلا ومظاهر العقيدة التي يعتنقها صاحب ذلك السلوك بادية عليه، فالعقيدة الصحيحة أو المنحرفة داخلة وبقوة في مكونات كل شخصية ، سواء أرضينا بذلك أم أبينا ،

([١]) صحيح مسلم – كتاب الإمارة / باب إذا بويع لخليفتين – حديث:٣٥٣٣ ، السنن الصغير للبيهقي – كتاب قتال أهل البغي / باب الأئمة من قريش – حديث:٢٤٩٧ ، السنن الكبرى للبيهقي – كتاب القسامة / تاب قتال أهل البغي – باب لا يصلح إمامان في عصر واحد / حديث:١٥٣٩٤.

فالروح الاستعلائية مثلاً ، والتي نراها طاغية على الشخصية اليهودية ، ما هي إلا انعكاس لعقيدة الشعب المختار التي يؤمن بها كل اليهود .

قال تعالى توضيحا لما يعتقدون به : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ البقرة: ٨٠

فرد الله عليهم ذلك فقال لهم : ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المائدة: ١٨

فالعقيد هي منطلق الناس في أقوالهم وأفعالهم، وحينما آمن الخوارج بصدق معتقدهم ، وأحقيتهم فيما ذهبوا إليه ، بقطع النظر عن حجم الحقيقة الكائنة في ذلك الأمر تحول ذلك الإيمان إلى سلوك اجتماعي ، فسطروا أمثلة رائعة في العبادة ، والشجاعة في المعارك التي خاضوها ، ويكفي أنْ ننقل جانبا من خطبة أبي حمزة الشاري وهو زعيم من زعمائهم وهو يصف أصحابه فيقول:

(وقد بلغني مقالتكم في أصحابي وما عبتموه من حداثة أسنانهم ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله وآله المذكورون في الخير إلا أحداثا شبابا شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم أنظاء عبادة قد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الله بكى شوقا وكلما مر بآية من ذكر الله شهق خوفا كأن زفير جهنم بين أذنيه قد أكلت الأرض جباههم وركبهم ووصلوا كلال الليل بكلال النهار مصفرة ألوانهم ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام أنضاء عبادة موفون بعهد الله منتجزون لوعد الله قد شروا أنفسهم حتى إذا التقت الكتيبتان وأبرقت سيوفها وفوقت سهامها

وأشرعت رماحها لقو شبا الأسنة وشائك السهام وظباة السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم فمضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينه بالثرى وانحطت عليه الطير من السماء وتمزقته سباع الأرض فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد

ثم بكى وقال آه آه على فراق الإخوان رحمة الله على تلك الأبدان وأدخل الله أرواحهم الجنان)[١].

وتعد العقيدة الصحيحة سببا مباشرا من أسباب الوحدة الفكرية التي جاء الإسلام ليحققها ضمن أهدافه الأخرى ، يقول عبد الله بن عبد الرحمن الجديع : (أن الرابطة في المجتمع الإسلامي هي رابطة عقدية، وأخوة إيمانية، وعلى هذا فكلما رسخ الاعتقاد وقوي الإيمان عند أفراد المجتمع، قويت الأخوة والرابطة التي تشد بينهم.

وعلى هذا فالمحافظة على سلامة المعتقد ووحدته يتطلب المحافظة على الناحية الفكرية المؤثرة فيه، من أجل استدامة تلك الأخوة القائمة عليه وسلامتها من النزعات المخالفة وما ينتج عنها من فرقة وشتات)[٢].

---

(١)الأغاني / أبو الفرج الأصفهاني / ٢٥٧/٢٣ ' الجليس الصالح /: المعافى بن زكريا / ٢٣١ ، نهاية الإرب في فنون الأدب / النويري ١٢٥/٦ .

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة / ٥٨٤/٢

وقد تحدث الشيخ عبد الله بن جبرين عن الأسباب التي تدعو إلى وحدة المسلمين فقال: (الأسباب التي بها يتآلفون، ويتعارفون، ويتآخون كثيرة منها: أولاً: يتعارفون لأنهم مسلمون، ويتحابون لأجل الإسلام.

ثانياً: يتعارفون ويتآلفون؛ لأن قصدهم وهدفهم واحد، وهو أن كلاً منهم يطلب الأجر الأخروي، ويطلب النصر من الله تعالى على الأعداء.

ثالثاً: أن كلاً منهم يدين بدين واحد فيجمعهم هذا الدين، فإذا دانوا بدين واحد فإن عليهم أن يتحابوا في ذات الله تعالى، ويزيلوا الأسباب التي توقع بينهم العداوة والبغضاء، وبذلك يتآلفون ويتحابون فيما بينهم)[1].

والعقيدة الواحدة الصحيحة ، تجمع المسلمين على:

إله واحد ، وهو الله سبحانه وتعالى ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩

وكتاب واحد ، وهو القران الكريم ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠

وقبلة واحدة ، وهي الكعبة المشرفة ، قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / عبد الله بن جبرين / الدرس السادس والخمسين /٥ .

شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ١٤٤

ومعاد واحد ، وهو يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٨١

ووحدة المنهج الذي جاء به الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥

ومما لا شك فيه أنّ هذه الوحدة العقائدية ينجم عنها نسيج اجتماعي فريد ، يتميز عن غيره من المجتمعات ، وسوف نعرض لأبرز سمات هذا النسيج الموحد الناجم عن الوحدة العقائدية ، المتمثلة في :

- الأخوة
- المحبة
- التعاون
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً : الأخوة :

تميز الإسلام عن غيره من الأديان ، بأنه ربط أبناءه برباط الأخوة الإيمانية ، وجعلها أساس التعامل بينهم ، وقدم ورفع رابطة الدين على غيرها من الروابط التي تقدسها الأحزاب القومية ، مثل رابطة اللغة ، ورابطة النسب ، ورابطة الأرض .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠

وقد رأينا في تاريخ المسلمين ، كيف أنهم قدموا إخوة الدين على غيرها حينما قاتلوا آباءهم وأبناءهم وسائر أهليهم ، لما كانوا على الكفر، قال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب: ٢٣

بل تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك فلم يوادوا أحدا منهم ، لأنهم اختلفوا معهم في أصل الإيمان قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة: ٢٢

ووصل الأمر في نهاية المطاف إلى المفاصل الكاملة بين المؤمنين وغيرهم ، حينما نهى الله سبحانه وتعالى أنْ يستغفر لهم بعد إصرارهم على الكفر قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ التوبة: ١١٣

ثانياً : المحبة

من الآثار الناجمة عن وحدة العقيدة الإسلامية ، في المجتمع المسلم ، هو شيوع المحبة بين المسلمين ، والمحبة في أبسط معانيها هي : (المحبة : الرِّضا بالشيء ومَيْلُ النفس إليه) [١].

---

(١) لسان العرب / مادة (قبل) ١١/ ٥٣٤ .

وقد قسم الإسلام المحبة الواجبة على أبنائه إلى ثلاث مراتب ، الأولى : محبة الله سبحانه وتعالى ، والثانية : محبة الرسول ﷺ ، والثالثة : محبة المسلمين ،

أخرج البخاري رحمه الله عن (أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[١].

ففي محبة الله ، أوجب الباري محبة الله سبحانه وتعالى على عباده ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى ، علامات على صدق محبته ، لكي يقطع الطريق أمام المدعين للمحبة المفرغة من محتواها ، وهذه العلامات هي :

أولاً : اتباع النبي ﷺ في كل ما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى ، قال عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١

ثانياً : التسليم لما جاء به النبيﷺ وانشراح النفس به، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الإيمان / باب حلاوة الإيمان – حديث:١٦ ، صحيح مسلم – كتاب الإيمان / باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان – حديث:٨٥ .

وفي محبة النبي صلى الله عليه وسلم ، جعل الله تعالى هذه المحبة معيار الإيمان الحقيقي ، فمن قدم محبته ﷺ على غيره من البشر ، كان مؤمنا حقا ، ومن قدم غير محبته ﷺ على محبته ، فقد اختل إيمانه بقدر تخلف مكانة النبي ﷺ في قلبه.

- أخرج محمد بن نصر (عن أبي أمامة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : " لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى أكون أنا أحب إليه من ولده ووالده ، ونفسه التي بين جنبيه ، ومن الناس أجمعين)[١].

وكان النبي ﷺ يعني ما يقول فكان لا يقبل من المسلمين أن يحبوا أحداً أكثر من حبهم له ، لأن ذلك خلل في أصل الإيمان.

- أخرج البخاري عن (أبي عقيل زهرة بن معبد أنه سمع جده عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه و سلم (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه و سلم (الآن يا عمر))[٢].

---

(١) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي – حلاوة الإيمان / حديث:٤٠٨ تفرد بروايته .

(٢)صحيح البخاري باب كيف كانت يمين النبيﷺ / حديث ٦٢٥٧ .

- وأخرج ايضا (عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فوالذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده ")[١].

وفي محبة المؤمنين: أوجب الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه الكريمﷺ محبة المؤمنين بعضهم لبعض ، في كل مجالات الحياة ، فلا يكتما إيمان مؤمن ما لم يحب لأخيه المؤمن ما يحبه لنفسه ، ولا يدخلوا الجنة حتى يحب بعضهم بعضا ، وفي كل هذه المعاني وردت التوجيهات النبوية.

- روى الإمام البخاري رحمه الله : (عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ")[٢].
- وروى مسلم عن : (أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم ")[٣].

ثالثاً : **التعاون**:

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الإيمان / باب : حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان – حديث:١٤، صحيح مسلم – كتاب الإيمان / باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من – حديث:٨٨ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الإيمان ، باب : من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه – حديث:١٣ ، صحيح مسلم – كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم – حديث:٨٩ ، مسند الطيالسي – أحاديث النساء / وما أسند أنس بن مالك الأنصاري – ما روى عنه قتادة / حديث:٢١٠٢.

(٣) صحيح مسلم – كتاب الإيمان/ باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون – حديث:١٠٦ ، الجامع في الحديث لابن وهب – الإخاء في الله / حديث:٢١٣ .

ومن الآثار الناجمة عن العقيدة الصحيحة ، فضلا عن الأخوة والمحبة ، اللتين تحدثنا عنهما قبل قليل ، قضية التعاون بين أفراد المجتمع المسلم، فلا وجود للفردية المطلقة التي لا تعتبر للجماعة أي اعتبار ، وكذلك فلا انتهاك لحرمة الفرد وحريته الخاصة ما لم تصطدم بالمصالح العامة .

وقد مثّل النبيﷺ تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاونهم فيما بينهم ، وانصهارهم في بوتقة الإسلام بالجسد الواحد الذي يسعد جميعه إنْ أصابه خير ، ويألم إنْ أصاب بعضه السوء.

- روى الإمام مسلم عن : (النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).[١]
- وأخرج البيهقي عن (سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن من المؤمن بمنزلة الرأس من الجسد يألم الرأس ما يصيب الجسد ، وكذلك المؤمن يألم بما يصيب المؤمن ")[٢].

فالمؤمنون يتعاونون بينهم ويشد بعضهم بعضا ، فيكونون أقوى على اجتياز صعوبات الحياة وعقباتها ، مثلهم كمثل البنيان المرصوص ، يأبى على عواتي الرياح أن تقتلعه .

---

(١) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب / باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم – حديث:٤٧٩١ ، مسند الطيالسي – النعمان بن بشير / حديث:٨١٩ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي – التاسع والثلاثون من شعب الإيمان / فصل فيما يقول العاطس في جواب التشميت – السابع والسبعون من شعب الإيمان وهو باب في أن يحب الرجل / حديث:١٠٦٦٦ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ الصف: ٤

- وقال ﷺ فيما يرويه البخاري بسنده عن أبي موسى :(" إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " وشبك أصابعه)[١].
- أخرج الشهاب القضاعي بسنده(، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المرء كثير بأخيه ")[٢].

فالتعاون يسير في ركاب المسلمين ، ولا يمكن لمؤمن أن يقطع شوط حياته بمفرده ، والمؤمنون بسبب توجيهات نبيهمﷺ المستمرة والدائمة في التعاون وإذكاء روح المؤاخاة بينهم باتوا يؤمنون كل الإيمان أنّ أحدهم كثير بأخيه ، وأنه حينما يشذ ويفارق جماعة المسلمين ، فإنما تيجه إلى الضياع في لدنيا ، والنار في الآخرة .

رابعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المبادئ التي تميز بها الإسلام عن غيره حتى من الأديان السماوية ، فليس هناك دين على وجه الأرض ، أو فكرة يحتكم

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الصلاة / أبواب استقبال القبلة – باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره / حديث:٤٦٩ ، صحيح / مسلم – كتاب البر والصلة والآداب / باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم – حديث:٤٧٩٠ .

(٢) مسند الشهاب القضاعي – المرء كثير بأخيه / حديث:١٧٧ ، ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحدث بلفظ آخر فقال : (: " المرء كثير بأخيه ، يقول : يكسوه ، يحمله ، يرفده ")أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني – قوله صلى الله عليه وسلم : " المرء كثير بأخيه "حديث:٤٢.

الناس إليها ، تحمل أصحابها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما في الإسلام ، وقد تغلغل هذا المبدأ في جميع مرافق الحياة الإسلامية ، فهو الذي يحكم علاقة المسلم بأخيه المسلم بوصفه فردا في المجتمع ، وهو الذي يربط علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة المحكوم بالحاكم .

وبات مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هو المعيار الذي يتحدد بموجبه مستوى الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، فكلما كان حاضرا في النفس كان شاهدا على عمق الإيمان ، وكلما غاب كان شاهدا على عكس ذلك ، يشهد عل ذلك قوله ﷺ حينما قال : (" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)[١].

ومن خلال الأمر بالعروف والنهي عن المنكر يستطيع المسلم أنْ يصل إلى مصاف سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب .

أخرج الحاكم في المستدرك : (عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قال إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله ")[٢].

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الإيمان / باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان – حديث:٩٥ ، صحيح ابن حبان – كتاب البر والإحسان / ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به – حديث:٣٠٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم – كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم / ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب – حديث:٤٨٣٦ ، المعجم الكبير للطبراني – باب من اسمه حمزة / حمزة بن عبد المطلب بن عبد مناف – " وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حمزة وبين / حديث:٢٨٨٨ .

وأخرج مسلم : (، عن عبد الله بن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ").[1]

ولا يعفى فرد من أفراد المسلمين في تولي مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جماعة المسلمين ، فالمسؤولية جماعية لا تقع على عاتق جماعة من الناس دون جماعة ، وقد مثلهم النبي ﷺ بمن يركب سفينة ، ثم يريد أنْ يخرقها ، فإن ترك وما يريد هلكوا جميعا ، وإن ضرب على يده عملا بمبدأ النهي عن المنكر نجوا جميعا .

أخرج البخاري رحمه الله : (الشعبي ، أنه سمع النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " مثل المدهن في حدود الله ، والواقع فيها ، مثل قوم استهموا سفينة ، فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها ، فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا : ما لك ، قال : تأذيتم بي ولا بد لي من

([1]) صحيح مسلم – كتاب الإيمان / باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان – حديث:٩٦، مستخرج أبي عوانة – كتاب الإيمان /بيان نفي الإيمان عن الذي يحرم هذه الأخلاق المثبتة في هذا – حديث:٨٢ .

الماء ، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم "[1].

وهو سبب نجاة الأمة ومقوم ديمومتها في مدارج الرقي والصلاح ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنّ سبب هلاك بني إسرائيل هو تركهم لهذا الأمر العظيم ، وأنهم استحقوا سخط الله سبحانه واستوجبوا لعنته ، فقال في كتابه العزيز :﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ المائدة: ٧٨ ــ ٧٩

وقد بين النبيﷺ هذا المعنى جليا حينما قال : (عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل ، كان الرجل يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا ، اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض " ، ثم قال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم إلى قوله فاسقون ، ثم قال : " كلا والله لتأمرن بالمعروف

([1]) صحيح البخاري – كتاب الشهادات / باب القرعة في المشكلات – حديث:٢٥٦١ ، سنن الترمذي الجامع الصحيح – الذبائح /أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب منه / حديث:٢١٥٠ ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يدي الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ")[١].

وأخبر النبي ﷺ أن ترك الأمر بالعروف من علامات الساعة ، وأنّ الأمة إذا تركته فقد استحقت ألوانا من البلاء والشقاء.

قال ﷺ : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[٢].

ثانياً : وحدة العبادة :

تمثل وحدة العبادة معلما بارزا من معالم الوحدة الإسلامية ومقوماتها ، فالعبادة الموحدة تعمل على ربط الناس بسلوك مشترك ، فلا يبقى أثر للطبقية المقيتة التي تصطلي الأمم بنيرانها ، ولا يبقى وجود للتشرذم الفردي ، الذي يهدد المجتمعات المختلفة ، فلا تصح عبادة في الإسلام بشكل منفرد عن جماعة المسلمين إلا اضطرارا ، وخروجا على القاعدة العامة ، وسوف نتحدث عن أبرز عبادات الإسلام ، وأعني بها : الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصيام ، ومدى تأثير كل عبادة منها في إرساء دعائم الوحدة الإسلامية ، وهي التي تعرف بأركان الإسلام ، وهي التي نص عليها النبيﷺ في الحديث الشريف حينما قال : (قال رسول الله صلى الله

---

(١) سنن أبي داود – كتاب الملاحم / باب الأمر والنهي – حديث:٣٧٩٥ ، مشكل الآثار للطحاوي – باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه / حديث:٢٨٣٦ .

(٢) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني – كتاب الرقائق / باب الأمر بالمعروف – حديث:٣٣٥٠ ، سنن الترمذي الجامع الصحيح – الذبائح /أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنك / حديث:٢١٤٦ .

عليه وسلم " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان)[١] .

ومن الله التوفيق .

أولاً : الصلاة :

تعد الصلاة العبادة الأولى في الإسلام ، لأنها العبادة الوحيدة التي تتكرر كل يوم ، خمس مرات ، ولا يعفى منه المسلم بعد بلوغه ، كائناً من كان ، وهي العبادة التي تجب على الذكر ، والأنثى ، والحر، والعبد ، والغني ، والفقير ، والصحيح والسقيم ، بدرجة واحدة ، بخلاف غيرها من العبادات ، التي تختلف أحكامها بتبدل الظروف ، وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم الغاية التي لأجلها شرعت الصلاة ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهذا أول أثر إيجابي لها أزاء المجتمع ، فالصلاة بنص القرآن الكريم تساهم في صنع الإنسان المنسجم مع الآخرين من خلال انتهائه بسبب الصلاة عن المنكر ، وهو شعور يجعلك تعتز بالمجتمع الذي تعيش فيه لأنك في مكانك الصحيح منه.

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " بني الإسلام – حديث:٨ ، صحيح مسلم – كتاب الإيمان / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس – حديث:٤٤ ، مصنف عبد الرزاق الصنعاني – كتاب الصلاة / باب من ترك الصلاة – حديث:٤٨٥٧

ثانياً : إن أداء هذه العبادة يكون على طريقتين : مجتمعة ومنفردة ، والصلاة حين تؤدى مع جماعة المسلمين ، يتضاعف أجرها مرات ومرات ، لأنك تمارس عملا وحدويا في المجتمع الذي أنت فيه ، قال تعالى :﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ البقرة: ٤٣

وقال رسول الله ﷺ (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)[1].

وحين تؤدى منفردة فإن شعور المسلم بمعية المؤمنين لا ينفك عنه أبدا من ناحيتين ؛

الأولى أنه يدعو لسائر المسلمين ولا يدعو لنفسه فقط فيقول : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ الفاتحة: ٦وإن كان يصلي بمفرده .

الثانية : أنه يدعو بهذا الدعاء في جميع الركعات التي يصليها ، سواء أكانت الصلاة فرضا أم نافلة ، وهذا الأمر يجعله يشعر بمعية المؤمنين له في سائر أحواله .

ثالثاً: إن مما يدخل في ارساء دعائم الوحدة الإسلامية مما له صلة بالصلاة ، هو موضوع صلاة الجمعة ، ومعروف أن صلاة الجمعة ثبتت فرضيتها بالقران الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الجمعة: ٩

وصلاة الجمعة تدعم الشعور بالوحدة وتؤسس له من ناحيتين ؛ا

([1]) صحيح البخاري – كتاب الأذان / أبواب صلاة الجماعة والإمامة – باب فضل صلاة الجماعة / حديث:٦٢٧ ، صحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب فضل صلاة الجماعة – حديث:١٠٧٣ .

لأولى: من خلال اجتماع الناس في المسجد الجامع لأداء هذه الصلاة ، ومعلوم أن اجتماع الناس في مسجد واحد وجلوسهم مع بعضهم البعض وهم يستمعون لخطبة الجمعة ، كفيل بإزالة الفوارق وتأليف النفوس وإماتته الشحناء والبغضاء إذا كانت موجودة ، فيجلس الغني إلى جنب الفقير ، ويجلس الرئيس إلى جنب المرؤوس ، من دون تصنع ذلك أو مراءاة الناس به .

والثانية: من خلال معالجة الخطيب لما عساه أن يحدث بين الناس من تقاطع وتهاجر ، فالنفوس في المساجد تكون مقبلة على الله ، وبالتالي فإن رجوعها الى بعضها البعض وتسامحها أيسر من خلا معالجة الإمام لذلك ، وكم من مشاكل معضلة ، أعيب الألباء عن حلها ، حُلّت في المساجد ببركة صلاة الجمعة والجماعة ، وما تفعله في نفوس الناس من التسامح والإيثار.

رابعاً : ومن الآثار الإيجابية في أرساء دعائم الوحدة الإسلامية صلاة العيدين ، ففي صلاة العيدين يجتمع المسلمون من كل حدب وصوب ، يتضرعون إلى الله من أجل أنْ يتقبل منهم أعمالهم من حج أو صيام ، ففي هذه الصلوات تذوب الفوارق بين المسلمين ، ويتزاور المسلمون فيما بينهم ، وهم يعلمون أن أفضل ما يقوم به المسلم في تلك الأيام هو صلة الرحم أو التواصل مع المسلمين، لأنهم يعلمون أنّ باب الرحمة مغلق دون المشاحنين وقاطعي الرحم ، وبهذا فالصلاة مهرجان كبير في تدعيم وتأسيس الوحدة الإسلامية بين أبناء الأمة الإسلامية ، والحمد لله رب العالمين .

ثانياً: الزكاة:

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام ، والزكاة برهان يقدمه الأغنياء على صدق إيمانهم بالله سبحانه وتعالى ، وطهارة يطهر الله سبحانه الناس بها من رجس العبودية للمادة القاتلة .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣

وفي الحديث الموقوف على (عبد الله بن مسعود ، قال : " الناس غاديان : بايع نفسه فموبقها ، ومفاديها فمعتقها ، الصدقة برهان ، والصيام جنة ، والصلاة نور ، والسكينة مغنم وتركها مغرم ")[1].

والزكاة من أكثر العبادات التي تجعل المسلم على تواصل تام مع أبناء أمته ، فلا يكفي أنْ يكون المسلم مستعداً لإخراج الزكاة ، بل يجب علي أن يعرف من الذي يستحقها من أبناء مجتمعه ، لأنه ملزم بدفعها إلى أحد مستحقيها المنصوص عليهم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ التوبة: ٦٠

ولكي يعرف هؤلاء الأصناف لابد أنْ يخالط الناس ، فيعرف الفقير والمسكين وابن السبيل وغيرهم حتى يدفع إليهم زكاة ماله . وهذه المعرفة وهذه المخالة هي التي تؤسس للمجتمع لواحد الذي يكون في الغني على مقربة من الفقير .

---

(١) المعجم الكبير للطبراني – من اسمه عبد الله / عبد الله بن مسعود الهذلي – باب / حديث:٨٧٧٧ ، الزهد أبي داود – من خبر ابن مسعود / حديث:١٥٣ .

والفقير في هذا المجتمع ليس قيمة سفلى بل هو يأخذ حقه من ذلك المال ، وهذا الحق قد أثبته له رب العالمين في اكثر من موضع في القران الكريم،

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ المعارج: ٢٤ ــ ٢٥

وقال أيضاً : ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ ﴾ الذاريات: ١٩.

بل الفقير في نظر الغني هو سبب وصوله إلى مرضات الله سبحانه ، وكان من حرص الإسلام على عدم خدش شعور المسلم الفقير بأي نوع من أنواع المن ، فقد جعل الله سبحانه وتعالى ذلك المن نوعا من الأذى المتسبب في بطلان أجر الصدقة.

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾ البقرة: ٢٦٤

لهذا كان من منهج النبي ﷺ أن يرشد أصحابه إلى إخفاء صدقاتهم عن أقرب الناس إليهم ، ففي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذكر صنفا فقال ﷺ : (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) [١].

ثالثاً : الحج :

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الزكاة / باب الصدقة باليمين – حديث:١٣٦٨ ، موطأ مالك – كتاب الشعر / باب ما جاء في المتحابين في الله – حديث:١٧٢٦ .

إذا كانت العبادات السابقة التي تحدثنا عنها تسهم بشكل أو بآخر في إرساء دعائم الوحدة في المجتمع الإسلامي ، ويختلف مدى ظهور هذا التأثير من شخص إلى آخر ، بحسب صفاء قلب المسلم وصفاء سريرته ، فإن عبادة الحج شرعت أصلا لهذه الغاية ، فبغض النظر عن الجانب العبادي في هذه الشعيرة ، ذكر الباري سبحانه وتعالى معنى أخر وغاية أخرى للحج فقال سبحانه وتعالى : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ الحج: ٢٨.

وأول هذه المنافع هي الشعور بل العيش كأمة واحدة ، ففي الحج تبيت وتأكل وتشرب وتصلي وتنام مع من لا يجمعك معه إلا الإسلام ، فلا اللغة تجمعك معه ، ولا الأرض ، ولا بينكما تاريخ مشترك إلا ما يتصل بالإسلام ، وفي الحج ترى بعينك دون مواربة أنّ المسلمين أمة واحدة ، نداؤهم واحد ، ورجاؤهم واحد ، وسلوكهم واحد ، وفي الحج ترى ما لم تره من قبل ، ترى تهافت كل الشعارات التي تريد أن تجمع الناس على غير العقيدة والدين، فترى أن وحدة اللغة شيء زائف ، ووحدة الوطن أشد زيفا ، وترى أن المصالح المشتركة الحقيقية ، هي تلك المصالح التي تتجاوز حدود الحياة البسيطة للبشر ، وتتجاوزها إلى الحياة السرمدية الباقية ، وهذه المصالح المشتركة هي التي تكون حاضرة في الحج ، وترى أن التاريخ يبدأ بدايته الحقيقية مع ولادة الإسلام وبدء الرسالة المحمدية ، وهو القاسم المشترك من التاريخ الذي يجتمع عليه كل المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها . وما عداه فتنافر وتصارع وتجاذب في كل الاتجاهات .

والحج في جانبان بارزان يؤسسان للوحدة الإسلامية :

الجانب الأول: أن الحج مؤتمر سنوي ، يلتقي في المسلمون من جميع أرجاء الأرض ، وتلتقي من خلاله النخب البارزة في المسلمين من كل بلد ، ويبسطون مشاكلهم ويضعون الحلول لها من خلال الفتاوى التي تصدر في موسم الحج لمعالجة القضايا العالقة ، وهذا أمر يجعلون المسلمين يعيشون حالة من الوحدة والانسجام ، والتواصل والترابط ، فكم من مشكلة اجتماعية كانت سائدة في بلد ما حُلّت تماما من خلال توجيهات علماء الأمة البارزين من خلال موسم الحج.

والجانب الثاني : أنّ الحج يؤمن للمسلم الحاج فرصة التعايش والاطلاع على أحوال جميع المسلمين في جميع البلاد ، وكأنك قد سافرت وعشت مع جميع المسلمين ، ومعلوم أنّ مثل هذه السفرة المباركة تجعله يشعر وعيش انتماءه لهذه الأمة ، ويعيش من خلال الحج وحدة الآلام ووحدة الطموحات مع كل المسلمين، ولهذا كان الحج العقبة الكؤود التي تحطمت عليها جميع مخططات المستعمرين ، وأذنابهم في العالم الإسلامي، فما تصوروا للحظة أنهم قد أنجزوه في مجتمع مت المجتمعات ، خلال سنة كاملة ، ينهدم خلال أيام معدودات ، وهي أيام الحج المبارك .

وقال الدكتوران عمر يوسف حمزة واحمد عبد اللطيف السائح في كتابيهما : معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية :

(فالرجل الذي لم ير في حياته هنديا ، ولا صينيا ولم يعرف روسيا ولا تركيا ، ولم يعامل صوماليا، ولا سنغاليا ، كيف نطالبه بأن يفكر في كل هؤلاء وأمثالهم ، وأن يهتم بشؤونهم وشؤون أقوامهم ؟؟

ألا فقد أبطل الإسلام هذه الحجة ، وأغلق الباب أمام هذه الاعتذار ، إذ لم يكتف بتقرير هذه الحقيقة النظرية ، ، ولكنه وضع إلى جانبها نظاما دقيقا إلزاميا ، وهيأ

لتحقيقها فرصة عملية سنوية يجمع بها العالم الإسلامي مركزا في بقعة واحدة من الأرض)[١].

وتحدث الشيخ صالح آل الشيخ مقومات الوحدة الإسلامية وحاجتها إلى عقد المؤتمرات التي تدعم هذه القضية ، فعرج على موضوع الحج فقال : (وتتطلب الوحدة أن يُوجَد بين الناس هدف مشترك يركِّز أنظارهم وتوجهاتهم نحو الهدف الأعلى.. فتوجهات الناس تتشتت في قضايا تافهة عندما يختفي الهدف الأعلى عن الأنظار.. وهم لن يتحدوا فيما بينهم مهما عُقِدَت المؤتمرات الكبرى. والدعوة هي الهدف الأعلى للأمة المسلمة، وستتجه الأمة كلها إلى هدف أعلى لو برزت فيهم هذه العاطفة الدعوة. **وعندئذٍ سيصبح مؤتمر الحج وسيلة لتحقيق الوحدة العالمية بين المسلمين، وبالتالي سيصبح الحج مركز الدعوة الإسلامية العالمية)**[٢].

رابعاً : **الصيام** :

ربما يتصور شخص ما بأن الصيام عبادة فردة ، لا تمت إلى الجماعة بصلة ، بأي شكل من الأشكال ، وهذه نظرة سطحية لهذه العبادة الجليلة ، وإذا أردنا أن نقف على دعائم الوحدة في عبادة الصيام ، فإننا سوف نقف أمام ثلاث محطات كبيرة ، كلها تدعم عقيدة والوحدة التي يؤمن بها المسلم ، إنْ شاء الله تعالى :

المحطة الأولى :

---

(١)معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية / ٥٥ .

(٢) الحج عبادة و ميدان دعوة / لفضيلة الشيخ \ صالح آل الشيخ ٥٩ .

وفي هذه المحطة يشعر المسلم بعمق انتمائه لأمة التوحيد التي تؤمن بالله تبارك وتعالى ، وليس فقط بعمق انتمائه لأمة الإسلام.

وهذا الشعور متأتي من خلال إيمانه بأن هذه العبادة قد فرضت في جميع الديانات التي سبقت ديانته ، فهو حينما يمتثل لأمر الله فيها ، يمتثل وهو جزء من الأمة السماوية التي تتلقى توجيهاتها من الله سبحانه وتعالى ، قال عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣وهذا أمر يعطي صاحبه شعور بوحدة التشريع الذي يسهم بشكل فاعل في توحيد الناس ، على العكس تماما من الافتراق في التشريع الذي يجعل كل مشرع يدور حول محوره ، فلا يراعي إلا مصلحته ، ولا يرى إلا من خلالها .

المحطة الثانية:

يربي الصيام المسلمين من خلاله بشكل عملي على الشعور بشعور الآخرين ، فليس هناك عبادة غير الصيام تجعل الغني يحس بألم الجوع كما يحس به الفقير ، فالغني فقير معدم طوال نهار رمضان ، يحس بالجوع كما يحسون ، ويألم كما يألمون ، وهذا من خصائص الصيام ، لأن الغني قد يعطي زكاة ماله وهو شبعان ، وقد يتطوع في الصدقات وهو شبعان ، ولهذا فإن إحساسه بحاجة الفقير من غير الصيام يظل إحساسا ناقصا ، لأنه إحساس المترف بعوز الفقير ، أما الذي يهذبه الصيام ويدخله في دورة تجريبية لحياة الجائعين وحياة العطاشى ، سيكون إحساسه بعد ذلك بهم إحساسا مفعما بالحيوية ، ولهذا كان أجر الصيام عند الله أجرا عظيما ، فهو أحد أركان الإسلام ، وهو الذي ليس له جزاء إلا الجنة

أخرج البخاري بسنده : (عن أبي صالح الزيات ، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه ، يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله : كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل إني امرؤ صائم).[١]

المحطة الثالثة :

وفي هذه المحطة يشعر المسلم بوحدته مع المسلمين الذين يشاركونه في هذه العبادة ، من خلال توصية النبي ﷺ لهم بأن يفطّروا إخوانهم الصائمين ، مما أفاض عليهم من الخير ، بعدما أن حسّوا بشكل عملي بما يقاسونه من مرارة الجوع والحرمان ، وكان من كرم الله تعالى أنّ الله سبحانه يجعل أجر من يفطّر كأجر الصائم ، لا ينقص من أجره شيئا

أخرج ابن حبان في صحيحه : (عن زيد بن خالد الجهني ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " من فطر صائما كتب له مثل أجره ، لا ينقص من أجره شيء ") [٢].

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الصوم / باب : هل يقول إني صائم إذا شتم – حديث:١٨١٤ ، صحيح مسلم – كتاب الصيام / باب فضل الصيام – حديث:٢٠١٠ ، صحيح ابن خزيمة – كتاب الصيام / جماع أبواب فضائل شهر رمضان وصيامه – باب ذكر البيان أن الصيام من الصبر على ما تأولت خبر / حديث:١٧٨٢ .

(٢) صحيح ابن حبان – كتاب الصوم / اب فضل الصوم – ذكر تفضل الله جل وعلا بإعطاء المفطر مسلما مثل أجره / حديث:٣٤٨٨ ، سنن الدارمي – كتاب الصلاة / باب الفضل لمن فطر صائما – حديث:١٧٠٤ ، سنن ابن ماجه – كتاب الصيام / باب في ثواب من فطر صائما – حديث:١٧٤٢

فالمسلم في رحلة إيماني وشعور وحدوي فريد ، وهو يمارس عبادة الصيام ، ابتداء من شعوره بأنه جزء من الأمة الإيمانية التي تضرب جذورها في أطناب التاريخ ، وصولا إلى العصر الذي يعيش فيه ، ومرورا بتجربته الحقيقية في طريق عيش الفقراء ، وانتهاءا بالدعوة النبوية المباركة الى التكافل الاجتماعي على موائد الإفطار.

ثالثا : وحدة السلوك الاجتماعي(وحدة الأخلاق):

يعد هذا المحور النتيجة الطبيعية للمحورين السابقين ، وأعني بهما وحدة العقيدة ، ووحدة العبادة ، لأن الثمرة المترتبة على العقيدة ، وكذلك الثمرة الناجمة عن العبادة هي الأخلاق الحميدة ، وقد نص القران الكريم على ذلك وخاصة فيما يتصل بالعبادة بشكل صريح ، فبين أن الغاية من تشريع الصلاة هي ولادة السلوك الاجتماعي الحميد، فقال سبحانه وتعالى ؛ ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥

وكذلك الحال مع فريضة الصيام فبين سبحانه وتعالى أنّ الغاية من فريضة الصيام هو الوصول إلى التقوى ، وهي سلوك اجتماعي كما هو معلوم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

وحينما تحدث الباري عن فريضة الحج بين ارتباط هذه الفريضة بالسلوك الانساني ، وبين جل وعلا أنّ الحج يتقاطع مع السلوك المشين فقال سبحانه ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا

تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧

أما الزكاة فات التهذيب والتقويم ماثل حتى في اسمها ، وحينما أمر الله تعالى نبيه الكريمﷺ بأخذ الزكاة من أغنياء المسلمين بين لنا أن الغاية هو زكاة النفوس فقال سبحانه وتعالى :﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣

وسوف نتحدث في هذا المبحث عن وحدة الأعراف الاجتماعية التي لها مساس مباشر في إرساء دعائم الوحدة الإسلامية ، ومعلوم أن العرف في كثير منه ينطلق من نصوص وتشريعات إسلامية ، ومن الله التوفيق.

أولاً : الدعاء للمسلمين

يتميز المجتمع المسلم عن غيره بكونه مجتمعا متلاحم المشاعر ، يحب بعضه بعضا ، وينصر بعضه بعضا ، ويدعو بعضه لبعض بظهر الغيب ، ولا شك أنّ دعاء المسلم لأخيه المسلم يمثل مرحلة متقدمة من الانصهار في بوتقة الجماعة الواحدة ، ويمثل سلوكا رفيعا يتميز به المسلم عن غيره من الناس، وقد ترسخ هذا العرف في قلوب المسلمين نتيجة لما جاء به القران الكريم ، من توجيهات للأمة بهذا الخصوص ، وقد أخذت قضية توجيه الناس نحو الدعاء في القران عدة أشكال يمكن إجمالها فيما يأتي :

الشكل الأول: الدعاء للمؤمنين على لسان الأنبياء ، فقد وردت في القران الكريم آيات عديدة تضمنت الدعاء للمؤمنين على لسان نوح وإبراهيم وإسماعيل ، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام:

قال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام :﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾ نوح: ٢٨

وقال سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ البقرة: ١٢٨ ــ ١٢٩

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ الأعراف: ١٥١

الشكل الثاني : الدعاء على لسان المؤمنين : بين الله سبحانه وتعالى في مواطن كثيرة من القران الكريم المنهج الحق للمؤمنين من خلال تمسكهم بالدعاء لإخوانهم في الإيمان ، من أجل غرس هذا الخلق النبيل في نفوسهم لما له من أثر فاعل وكبير في إرساء الشعور بوحدة المؤمنين، وأن المؤمن في أي عصر كان فهم يمثل جزءا من الأمة الإيمانية .

قال سبحانه وتعالى على لسان عباده المؤمنين موضحا الموقف الذي يجب أنْ يتخذ أزاء الجماعة المؤمنة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا

وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحشر: ١٠

قال تعالى مبينا أن المؤمنين في كل ظروفهم وأحوالهم يتجهون إلى ربهم بطلب المغفرة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ التحريم: ٨

فلا يفردون أنفسهم بدعاء لأنهم جزء من الأمة ، وفي الصلاة توجه الفرد المسلم بالدعاء بالهداية له وللمسلمين ، فيقول : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦

وفي خاتمة سورة البقرة ذكر الله تعالى دعاء المؤمنين لأنفسهم بصيغة الجمع ، من أجل أنهم أمة واحدة فقال سبحانه : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٨٦

ثانياً: حفظ اللسان إلا من خير: ومن القيم التي أوجبها الاسلام على المسلمين ، والتي من شأنها أنْ تزيد من الشعور بالوحدة بين أفراد الأمة الاسلامية ، قضية حفظ اللسان إلا من خير ، وقد ثبت هذا الأمر بالقران الكريم والسنة النبوية ، على حد سواء .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٠

وقال سبحانه وتعالى ، متحدثا عن قيم الكلام إذا لم يكن منضبطا بضوابط الشريعة: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ النساء: ١١٤

وأوجب الله تعالى على المؤمنين أنْ يقولوا القول الحسن ، لأن آثاره الإيجابية في المجتمع عميقة وبعيدة الجذور ، فقال جل من قائل: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ البقرة: ٨٣

وتحدث عن السفهاء وما يجب في حقهم ، فبين لنا سبحانه : أنّ السفيه يجب أنْ يقال له قولا معروفا ، لأنه أليق به وأجدر بأن يزول سفهه ، وسوء تصرفه ، بسبب هذا القول المعروف :﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ النساء: ٥

وكذلك الحال مع اليتامى وأولي القربى والمساكين ، فقد أوجب سبحانه معهم القول المعروف ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ النساء: ٨

ثالثاً: وحدة العادات الاجتماعية: وأعني بها تلك الوحدة السلوكية التي انبثقت من وحدة التوجيهات الصادرة عن النبي ﷺ ، فيما يتصل بطرقة الأكل وطريق الشرب وطريقة اللباس وهيئه الدخول إلى البيت والمسجد ، وما إلى ذلك من مفردات الحياة ، بتفاصيلها الدقيقة.

والذي يريد أن يقف أمام تفاصيل هذه الأمور يجد أن المسلمين على اختلاف بلدانهم وبيئاتهم وأعصارهم التي عاشوا فيها ، يمارسون سلوكا واحدا ، يميزهم عن غيرهم ويصهرهم في بوتقة الإسلام ، فليس هناك فارق في طرقة الأكل التي يلتزم بها المسلم في الصين مع طريقة الأكل التي يلتزم بها المسلم في جوف الصحراء ، فكلاهما يأكل بيمينه ، وكلاهما يأكل مما يليه ، وكلاهما يشرب الماء ثلاثاً ، ويسمي الله إذا بدأ ، ويحمد الله إذا انتهى ، دون أنْ يحدث بينهما أي لقاء ، أو اتفاق على هذه الأمور ، وإنما حصل التوافق بينهما لأنهما جميعا التزما بقوله تعالى :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١

فلما كان النبيﷺ قدوة لهم ، وكان من هديه في الأكل ما ذكرنا آنفاً ، كان ذلك سببا في وحدة المسلمين السلوكية .

وكذلك الحال إذا راقبت عددا من المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، وحاولت أنْ تبرز نقاط الالتقاء بينهم في طريقة دخولهم البيت أو المسجد ، لوجدتهم جميعا متشابهون فيدخلون بالقدم اليمنى ، ويخرجون بالقدم اليسرى ، ويذكرون الله تعالى عند دخول المسجد فيقولون : (اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب فضلك) ، ويذكرونه عند الخروج فيقولون : (اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك) ، ويلبسون مداساتهم بادئين بالرجل اليمنى.

وهذه الوحدة السلوكية لها الأثر الأكبر في إزالة الحواجز النفسية بين المسلمين، لأنك لا تفكر في الحرج المترتب على اختلاف العادات والأعراف الذي تقع تحته المجتمعات الأخرى ،لأن الانبساط إلى الناس ، وليد المشابهة في السلوكيات ، وهذا

هو سر التعايش بين المسلمين في موسم الحج ، ومن ينظر إلى أحوال الحجيج ، يتبين له بوضوح من خلال الاندماج الكامل بينهم ، أنّ هؤلاء الناس ينتمون إلى أمة واحدة ، لأن أعرافهم وعاداتهم وتقاليدهم واحدة ، بالإضافة إلى وحدة العقيدة ووحدة العبادة ، ولو اجتمع الناس بعشر معشار ما يجتمع المسلمون في فريضة الحج ، لرأيت من المشاكل والمعضلات ما لا سبيل إلى حلها ، لكنه الاسلام جمع القلوب قبل أنْ يجمع الأبدان ، وزكى النفوس وأشربها صفو الوداد ، فتسامت فوق هامات الذرى ، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

في نهاية أود أن أسجل هنا أبرز النتائج التي تمخض عنها هذا البحث ، عسى أنْ ينفع الله بها .

١. إن المنظور القومي للوحدة ، مفهوم قائم على الانتقائية في كثير من مقوماته ، فلا يأخذون من التاريخ إلا ما يسهم في التأسيس للوحدة عندهم.
٢. إن وحدة اللغة من أبرز سمات الوحدة عند القوميين ، في الوقت الذي عجزت فيه اللغة عن دفع الأذى عن أبنائها الناطقين بها .
٣. وردت في القران الكريم آيات تدعو إلى الوحدة ، وتبين من خلال البحث أنّ الوحدة في القرآن الكريم لها ثلاث محاور وهي : (وحدة الخالق ، ووحدة الخلق ، ووحدة الأمة).
٤. وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تدعو إلى وحدة المسلمين ، كالدعوة إلى المؤاخاة ، والدعوة إلى التكافل ، والتعاون ، والمحبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها .
٥. تقوم الوحدة في المنظور الإسلامي على ثلاث ركائز أساسية ، وهي : (وحدة العقيدة ، ووحدة العبادة ، ووحدة السلوك) ، ويندرج من المحاور المهمة في التأسيس للوحدة تحت كل ركيزة الشيء الكثير ، وهو ما تم بيانه في ثنايا البحث.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر بعد القرآن الكريم

- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة / عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع / عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية / لطبعة : الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م
- الأغاني، تأليف: أبو الفرج الأصبهاني، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر .
- كتاب الأموال، تأليف: أبو عبيد القاسم بن سلام، دار النشر: دار الفكر. – بيروت. – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. ، تحقيق: خليل محمد هراس.
- تعظيم قدر الصلاة، تأليف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، دار النشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة – ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي .
- التنبيه والإشراف للمسعودي / لا معلومات عن الطبع .
- التوبيخ والتنبيه، تأليف: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، دار النشر: مكتبة الفرقان – القاهرة، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم
- الجامع في الحديث، تأليف: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبو محمد المصري، دار النشر: دار ابن الجوزي – السعودية – ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د . مصطفى حسن حسين أبو الخير .
- الجليس الصالح

- جزء ما رواه الزبير عن غير جابر لأبي الشيخ الأصبهاني / المكتبة الشاملة / الإصدار الخامس .
- حركات ومذاهب هدامة في ميزان الإسلام / فتحي يكن / مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى ١٩٧٩ .
- الحج عبادة وميدان دعوة / الشيخ صالح آل الشيخ / شريط مفرغ / مكتبة مشكاة الإسلامية .
- الرحيق المختوم/ الشيخ صفي الدين المباركفوري. / دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة – مصر/ الطبعة السابعة عشرة / ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الزهد لأبي داود / أبو داود السجستاني مصدر الكتاب : موقع جامع الحديث http://www.alsunnah.com .
- شرح العقيدة الطحاوية / عبد الله بن جبرين / دروس صوتية / المكتبة الشاملة / الإصدار الخامس .
- شعب الإيمان، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول .
- سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر – –، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ز
- سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار النشر: دار الفكر – بيروت – –، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .

- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – –، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون .
- حول القومية العربية / تأليف ساطع الحصري، ط عام ١٩٨٧، مركز دراسات الوحدة العربية–بيروت .
- سنن الدارمي، تأليف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي .
- سنن سعيد بن منصور، تأليف: سعيد بن منصور الخراساني، دار النشر: الدار السلفية – الهند – ١٤٠٣هـ –١٩٨٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي .
- السنن الصغرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، دار النشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة – ١٤١٠ – ١٩٨٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي .
- سنن البيهقي الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ – ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا .
- سنن البيهقي الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ – ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا .

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري / تحقيق أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين ص. ب: ١٠٨٥ – بيروت تلكس: ٢٣١٦٦ – لبنان / الطبعة الاولى القاهرة ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦ م /الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ – ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط .
- صحيح ابن خزيمة، تأليف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩٠ – ١٩٧٠، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي
- الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا .
- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .
- كتاب العين ٨ مجلدات، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي .
- الفقيه و المتفقه، تأليف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار النشر: دار ابن الجوزي – السعودية – ١٤٢١هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي .

- القومية العربية / الشيخ سفر الحوالي / مكتبة مشكاة الإسلامية .
- القومية العربية والمصير المشترك / أشرف عبده الطيار/ صحيفة ٢٦ سبتمبر في ١٧ آذار.
- القومية في ميزان الإسلام / إعداد الطالبة / شاهيندا محمد عبد العزيز الشايقي / العام ١٤٣٢هـ-٢٠١٠م جامعة الإمام بن محمد بن سعود الإسلامية / كلية الشريعة بالرياض / قسم الثقافة الإسلامية .
- الكنى والأسماء، تأليف: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين، دار النشر: الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ١٤٠٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري .
- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى .
- مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة / : تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة .
- مستخرج أبي عوانة، تأليف: الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني، دار النشر: دار المعرفة – بيروت .
- المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا .
- مسند أبي يعلى، تأليف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار النشر: دار المأمون للتراث – دمشق – ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر .
- مسند إسحاق بن راهويه، تأليف: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، دار النشر: مكتبة الإيمان – المدينة المنورة – ١٤١٢ – ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي .
- المسند، تأليف: عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي، دار النشر: دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي – بيروت ، القاهرة، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي .
- مسند الشهاب، تأليف: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي .
- مسند أبي داود الطيالسي، تأليف: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت .
- مشكل الآثار، تأليف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط .
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت .

- المصنف، تأليف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي .
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار النشر: دار العاصمة/ دار الغيث – السعودية – ١٤١٩هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري .
- معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية الدكتور عمر يوسف حمزة والدكتور أحمد عبد الرحيم السايح / الدار المصرية اللبنانية / الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣ م .
- المعجم الأوسط، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر: دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .
- الروض الداني (المعجم الصغير)، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان – ١٤٠٥ – ١٩٨٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير .
- المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤ – ١٩٨٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي .
- معرفة السنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن أدريس الشافعي ، تأليف: الحافظ الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو

أحمد. البيهقي. الخسروجردي ، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – بدون ، الطبعة: بدون ، تحقيق: سيد كسروي حسن .

- مناقب عمر بن الخطاب / ابن الجوزي /المكتبة الشاملة / الإصدار الخامس.
- موطأ الإمام مالك، تأليف: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – مصر – –، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .
- الموسوعة الحرة / ويكيبيديا / موقع الموسوعة الحرة.
- الموسوعة العربية العالمية / اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International . المصدر: موقع مكتبة صيد الفوائد http://www.saaid.net/book/index.php .
- الموسوعة العربية الميسرة / شفيق غربال وآخرون / دار نهضة لبنان للطبع والنشر / ١٤٠٧-١٩٨٧ .
- نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري / المكتبة الشاملة / الإصدار الخامس.
- وحدة النضال ووحدة المصير / ميشيل عفلق / خطاب القي في مهرجان بوم الجزائر ني مقهى الرشيد، دمشق. ١٩٥٥.